وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ علوم انسانية

فرع التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ المغرب الحديث و المعاصر

الموسومة بـ:

الفئات الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني بني ميزاب نموذجا

إعداد الطاليين

- مكناسي خيرة
- فوداد مريم

تحت إشراف:

أ/ مداح عبد القادر

أعضاء لجنة المناقشة

د/ دوبالي خديجة	رئيسا
أ/ مداح عبد القادر	مشرفا ومقررا
أ/ خنفار حبيب	عضوا مناقشا

السنة الجامعية :

1437-1438هـ الموافق / 2016-2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعتبر تاريخ الجزائر الحديث فترة مهمة للدراسة والبحث وهذا لغناه بالأحداث الهامة بحيث عرفت الجزائر خلال هذه المرحلة تطورات مختلفة في جل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذا الثقافية مما جعلها ميدانا خصبا للبحث والدراسة، ولعلى من أهمها دراسة تاريخ المجتمع الجزائري في ظل التواجد العثماني بحيث حدد الاطار الزماني لدراسة هذا الموضوع منذ بداية الدخول العثماني إلى غاية الاحتلال الفرنسي أي من 1520 إلى 1830م، وقد قسمت الدراسات التاريخية المجتمع الجزائري إلى فئات وشرائح اجتماعية مختلفة من بدو وحضر وهذه الاخيرة منها ما سكنها بصفة دائمة أو مؤقتة معتمدا في ذلك على أسس دينية وعرقية ومهنية، وهذا كون الجزائر كانت من اهم الايالات العثمانية والمركز الذي ينبعث منه النشاط السياسي والاقتصادي الهام نظرا لعلاقتها مع السلطنة العثمانية والدول المجاورة وغير المجاورة لها، مما نتج عنه تعدد الأجناس البشرية بالجزائر، وعليه جاء موضوع بحثنا بعنوان:

الفئات الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني بني مزاب" نموذجا"

بحيث قمنا بدراسة عامة عن التركيبة الاجتماعية في الجزائر إبان التواجد العثماني ودراسة خاصة على المجتمع الميزابي كونه جدير بالبحث لانه مكونا رئيسيا من مكونات الشعب الجزائري، انذاك نظرا لتاريخه العريق و المليئ بالتطورات و التغيرات التي شهدتها هذه الفئة عبر العصور، وهنا تبرز أهمية بحثنا والتي تمثلت فيما يلي:

- معرفة العناصر التي كان يتشكل منها مجتمعنا في الفترة العثمانية
- معرفة وفهم عدة مسائل كنا نجهلها عن مجتمعنا خاصة ما يخص المجتمع الميزابي .

وقد كان سبب اختيارنا للموضوع، قبل كل شيء الدافع الذاتي والفضول من أجل الاطلاع الوافي على كل فئة من فئات المجتمع الجزائري، وخاصة المجتمع الميزابي الذي لم يحضى بدراسة من قبل في حدود علمنا.

بالاضافة إلى محاولتنا تسليط الضوء على الدراسات التاريخية في الجانب الاجتماعي خاصة وان معظم الدراسات تركز على الجوانب السياسية والعسكرية .

ولاكتشاف خصائص هذه الفئة المتمثلة في المجتمع المزابي الذي لم ينل حظه من الدراسة بشكل معمق.

كما ساهمت تحفيزات الاستاذ المشرف ونصائحه التي زرعت فينا روح المبادرة و البحث رغم تخوفنا من قلة المادة العلمية المتخصصة في هذا الموضوع، وكل هذا من اجل الوصول الى مجموعة من الاهداف المتمثلة فيمايلي:

- جمع الحقائق التاريخية المتعلقة بكل الفئات الاجتماعية في الجزائر.
- المحافظة على الميراث التاريخي الوطني بشكل عام وعلى الميراث التاريخي لمنطقة وادي مزاب بشكل خاص.
- ابراز المسيرة التاريخية التي واكبت التطورات التي عرفتها منطقة وادي مزاب منذ التواجد العثماني.

وتتمحور اشكالية بحثنا فيما يلي : كيف كانت التركيبة السكانية للجزائر إبان التواجد العثماني؟ وما هي مميزات كل فئة وأهم الأنشطة التي كانوا يمارسونها؟ ما مكانة المجتمع الميزابي بين فئات المجتمع الجزائري و فيما تمثل دور هذه الفئة في تاريخ الجزائر الحديث؟ وللاجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على جملةمن المصادر والمراجع نذكر أهمها:

- كتاب "**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**" ،للعلامة عبد الرحمان ابن خلدون الذي ساعدنا في معرفة نسب و أصول قبيلة زناتة التي كانت ضمن تركيبة المجتمع المزابي، وكتاب **"المرآة"** لحمدان بن عثمان خوجة الذي يعتبر مصدرا هاما كونه عايش الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، بحيث قام بتسليط الضوء على

سكان الجزائر معتمدا في ذلك على تقسيم السكان الى قسمين، البدو والحضر، لكن هذه المصادر أخفقت في ذكر الكثير من التفاصيل على المجتمع الجزائري بحيث قامت بدراسته سطحيا.

- كتاب "**السير**" للشماخي احمد ابن سعيد ابو العباس الذي تناول سير مشائخ الاباضيين منذ ظهور المذهب الاباضي ساعدنا في الاطلاع على المذهب الاباضي وأهم أعلام الإباضية .

- كتاب "**طبقات المشائخ بالمغرب** " للدرجيني ابو العباس احمد يعد هو أيضا من أهم المصادر الاباضية اعتمدنا عليه في معرفة نظام وسير حلقة العزابة.

- واعتمدنا أيضا على كتاب "**نهضة الجزائر وثورتها المباركة**" وكتاب " **المغرب الكبير ج1** " ، لبدبوز محمد علي بحيث اعتمدنا عليه في التعرف على منطقة واد مزاب و أصل سكانها ومذهبهم.

- كتبان "**هذه هي الجزائر**" و"**القطر الجزائري**" للمدني احمد توفيق الذي ساعدنا في معرفة الموقع الجغرافي لمنطقة وادي مزاب وتاريخ تأسيسها.

- كتاب "تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية و اقتصادية و سياسية" الذي يعد من أشمل الكتب التي تناولت تاريخ بني مزاب بالإضافة ،إلى كتب الرحالة والأسرى الأجانب من أهمهم كتاب "**مذكرات وليام شلر القنصل الامريكي**" ويليام **شالر وليام سبنسر** "**الجزائر في عهد رياس البحر**" ، كما اعتمدنا أيضا إلى بعض المجلات مثل مجلة الأصالة ومجلة العلوم الانسانية ، و أيضا على بعض الرسائل الجامعية دكتوراه وماجستير منها رسالة للدكتور شويتام أرزقي "**المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني** ".ومن خلال هذه البيبليوغرافيا اتبعنا الخطة التالية :- مقدمة، مدخل، فصلين وخاتمة.

مقدمة: تناولنا فيها تمهيدا بسيطا حول موضوعنا ثم أهميته وذكر بعض الدوافع التي دفعتنا لاختياره ثم الأهداف وبعدها تطرقنا إلى طرح الإشكالية العامة لموضوعنا، بالاضافة إلى عرض المصادر والمراجع المعتمد عليها في موضوعنا، وذكر أهم الصعوبات التي واجهتنا طيلة فترة البحث.

مدخل : كان بعنوان **التركيبة السكانية للجزائر خلال الفترة العثمانية** بحيث قمنا بتخصيصه لدراسة أهم المجموعات السكانية التي كان يتشكل منها المجتمع الجزائري باعتمادنا على تصنيفه على أساس الطبقات .

الفصل الأول: المعنون بـ: "**التشكيل التاريخي لمنطقة و اديمزاب**" والذي اندرج تحته ثلاث مباحث وكل مبحث احتوى على عدة عناصر، فقد كان عنوان المبحث البيئة الطبيعية لمنطقة وادي مزاب وهنا قمنا بالتعرف على الموقع الجغرافي والفلكي للمنطقة، بالإضافة إلى معرفة أصل السكان وأصل التسمية واللهجة الميزابية ، أما المبحث الثاني فكان بعنوان تحول بني مزاب من الاعتزال الى المذهب الاباضي ، تطرقنا فيها إلى لمحة تاريخية حولا لمذهب الاباضي و الدولة الرستمية بالإضافة الى أسباب هجرة الاباضيين إلى الصحراء، أما المبحث الثالث فكان بعنوان نشأة وتطور مدن وادي مزاب السبع، هذا فيما يخص الفصل الاول ، أما الفصل الثاني فكان بعنوان **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر إبان التواجد العثماني**، قسمناه الى ثلاثة مباحث حيث كان عنوان المبحث الأول : الحياة الاقتصادية والاجتماعية وهنا تناولنا على كل النشاطات الاقتصادية التي كان يقوم بها الميزابيون من فلاحة، صناعة وتجارة، اما الجانب الاجتماعي تناولنا فيه السلوكات التي امتاز بها الميزابيون وعاداتهم وتقاليدهم، اما المبحث الثاني فكان بعنوان الثقافة والعمران درسنا فيه نظام حلقة العزابة وفن العمارة في مدن وادي مزاب أما المبحث الثالث عنوناه بالدور السياسي لبني مزاب في الجزائر إبان التواجد العثمانين تطرقنا من خلاله إلى مساهمة الميزابيين في صد الحملات الاسبانية، وعلاقتهم بالسلطة العثمانية وفي الأخير ختمنا بحثنا بخاتمة كانت عبارة عن استنتاجات لموضوع بحثنا، وقد اعتمدنا على المنهج التاريخي السردي، وصفي.

ولإنجاز هذا البحث والالمام بكل جوانبه لم يكن بالأمر السهل بحيث أكبر عائق واجهناه كان قلة المصادر والمراجع التي تخدم موضوعنا خاصة الكتابات المتعلقة ببني مزاب، إذ يعتبر موضوع بحثنا من المواضيع الجديدة التي لم يتطرق إليها أحد من قبل بصفة مباشرة، وقد صعب علينا في بداية العمل الاستقرار على خطة نهائية لكثرة العناصر المشكلة للموضوع، وعناء البحث عن المعلومات بالإضافة الى قصر المدة الزمنية الممنوحة لإنجاز البحث، إلى جانب تركيز أغلب المصادر والمراجع التي تخص الفترة العثمانية على الجانب السياسي والعسكري، ولكن بفضل تشجيع الاستاذ المشرف مداح

عبد القادر وتوجيهاته لنا أمكننا التغلب على تلك الصعوبات وإنجاز هذا البحث، كما لا ننسى في ختام هذه المقدمة ان نشكر كل الذين ساعدونا على إنجاز هذه المذكرة المتواضعة.

مدخل

التركيبة السكانية للجزائر خلال الفترة العثمانية

كانت الجزائر خلال العهد العثماني كباقي الأيالات العثمانية معروفة بتنوعها العرقي والديني حيث انقسم المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة إلى مجموعات مختلفة نذكر منها: الأتراك والتي كانت الفئة الحاكمة في البلاد، الكراغلة، الجزائريين (سكان الأصليين) والمهاجرين من الأندلس، الزنوج اليهود، والأوروبيين، وقد أخذت هذه التركيبة السكانية شكل هرمي حسب مستوى نفوذ سلطة كل فئة وسوف نتطرق لهذه الفئات بالتفصيل فيما يلي:

أولا: الأتراك

امتاز الأتراك العثمانيون عن غيرهم من المجموعات السكانية باحتلالهم قمة الهرم الاجتماعي حيث كان حكم البلاد في يدهم مثل البايات والبشاوات.[1]

وقد ذكرهم وليام شالر في مذكراته أنهم شعب أصيل ويتميز عن غيره من الشعوب، بحيث كان وجودهم في إفريقيا بصفتهم غزاة محتلين ومع مرور الزمن اختلطوا بالسكان الأصليين (الأهالي).[2]

وتشكل هذه الفئة في معظمها من الجنود الأتراك، وهم المعروفون بإسم الإنكشارية* الذين كانوا يستقرون في حصون وثكنات أو يتوزعون على حاميات المدن والتي بلغ عددها إلى خمسة عشر حامية[3]وكان هؤلاء الجنود ذو أصول وأجناس مختلفة حيث كان منهم الأتراك والأرناؤوط، والبشناق والأكراد، والإغريق، والبلغار والبغدان، والتشيك والأرمن وحتى من التتار.[4]

---

[1] سعد الله أبوالقاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، بيروت، 1998م، ص:147.

[2] وليام شلر، مذكرات وليام شلر، القنصل الأمريكي (1816-1824)، تع، وتق ، اسماعيل العربي،د ط، ش. و. ن. ت الجزائر، 1982م، ص:107.

* الإنكشارية: وهي فرقة من المشاة خاصة داخل الجيش العثماني وتكونت في عهد السلطان مراد الأول وتفرغ أفرادها تفرغا تاما للجندية وحرم عليهم مطاردة الثكنات والزواج والاختلاط بالمدنيين وكانت هي وسيلة فعالة في انتصارات الدولة العثمانية.

أنور محمود الزناتي، من معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة عين شمس، القاهرة، د ت، ص:45.

3ابوراس الناصري محمد بن أبي أحمد، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تع، وتق ، بوركبة محمد، د ط،ج1، الجزائر، 2012م ص:34.

4محرز أمين، الجزائر في عهد الآغوات، رسالة ماجستير جامعة الجزائر، 2007-2008م، ص:37.

وبالرغم من قوة ونفوذ هذه الفئة إلا أنهم كانوا فئة قليلة العدد وهذا يرجع إلى حالة العزوبة التي كان يعيشها أغلب أفراد الجيش التركي وعدم تبنيهم أبنائهم الكراغلة *واعتبارهم عنصرا خليطا، لا يعلوا إلى مقام الأصول التركية الخالصة.[1]

أما فيما يخص نشاط هذه الفئة فكان عامل من عوامل ازدهار في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة وذلك من خلال نشرهم لعادات وتقاليد خاصة في مجال الأكلات والملابس بالإضافة إلى الفن المعماري والموسيقي[2]وقد حافظ الأتراك على الشريعة الإسلامية، ولكنهم يتحدثون اللغة التركية والتي كانت تستعمل في الإدارة الحكومية.[3]وكانوا يتميزون بمذهبهم الحنفي ولم يكن أفراد هذه الفئة كلهم ينتمون إلى الفرق الإنكشارية بل هناك من كان يمارس مهنا أخرى مثل الحرف الصناعية وأعمال أخرى.[4]

ثانيا: الكراغلة

احتلت الفئة الكراغلة المرتبة الثانية في الهرم الاجتماعي وتكونت هذه الفئة نتيجة زواج أفراد الجيش التركي بالنساء الجزائريات[5]وقد تمركزت هذه الفئة بشكل خاص في المدن الهامة مثل بجاية قسنطينة، تلمسان، عنابة، ومستغانم والمدية، والبليدة وبسكرة، ومعسكر، أي في المدن التي تمركزت فيها الحاميات التركية.[6] حيث أصبحوا فيما بعد يشكلون شبه حكومة خاصة بهم ويتقاسمون المدينة

*- الكراغلة: كلمة عثمانية تعني المولودين من آباء أتراك وأمهات جزائريات وهي تحريف دارج لكلمة اقول أوغلي أي عبيد، انظر Boyer pierre. problèmes Kouloughlle dans la régence d Alger. in R.O.M.M.N spéciale .19.p.p79.80 .

[1] محرز أمين، المرجع السابق، ص:34.

[2] سعيدوني ناصر الدين والشيخ البوعبدلي، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، د ط، ج4، الجزائر، 1984م، ص:99.

[3] وليام شالر، المرجع السابق، ص:107.

[4] شيوتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2005،2006م.

[5] سعد الله أبوالقاسم، المرجع السابق، ص:153.

[6] محرز أمين، المرجع السابق، ص:99.

مع طبقة الحضر، وكان لهم ديوان خاص بهم.[1] وقد ذكر حمدان بن عثمان خوجة في كتابه المرآة، أن علاقتهم بالأتراك كانت سيئة بحيث أنهم لم يسمح للكراغلة بشغل المناصب السياسية وقد تم عزل كل كرغلي يصل إلى المرتبة السابعة، كان يتم عزله، وبهذه الكيفية لم يكن لأي أحد منهم أن يشتغل في البلاط العثماني، كما استمر حقد الأتراك على الكراغلة مدة قرنين تقريبا، حيث كان حذر الأتراك شديد إلى درجة أنهم لو أسدى لهم الكراغلة نصيحة ولو كانت مفيدة لهم ينظرون إليها كحبائل منصوبة لاقتناص حسن نيتهم، وكان الأتراك إذا علموا أنه سيعقد اجتماع للكراغلة في مكان ما يرسلون إليهم جواسيسهم وهذا لعدم ثقتهم في الكراغلة بتاتا، ورغم هذا إلا أن الكراغلة حاولوا استعطاف آبائهم ونيل رضاهم حيث سجلوا أبنائهم كمتطوعين في المليشيا.[2]

ولم يكن لهم الحق في الانتساب إلى الجيش أو الحصول على مناصب إدارية وهذا كان ناتج عن خوف الأتراك من أن يتحالف الكراغلة مع الجزائريين الأصليين[3] وكان الأتراك يقومون بمنح الكراغلة بعض الامتيازات وذلك لإسكاتهم وعدم مطالبتهم بالحقوق، لذلك قامت بإعفائهم من الضرائب ومنحهم بعض التسهيلات.[4]

وكان الكراغلة يتمتعون بثروات كانوا يستثمرونها في المزارع ويترفعون عن خدمة الأرض أو القيام بأعمال يدوية، والشيء الذي كان يميز هذه الفئة أنها كانت كثيرة العدد، حيث بلغ عددهم في نهاية القرن الثامن عشر حوالي 6000 نسمة.[5]

---

[1] ابوراس الناصري محمد بن أبي أحمد، المرجع السابق، ص:36.

[2] خوجة حمدان عثمان، المرآة، تقديم وتع وتح ،محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005م، ص:117.

[3] بوحوش عمار–، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 2005م، ص:74.

[4] شيوتام أرزقي، المرجع السابق، ص:64.

[5] شيوتام أرزقي، المرجع نفسه، ص:74.

وفيما يخص ملابس الكراغلة، فهي تختلف باختلاف طبقات الناس وثروة الأفراد وفصول السنة، فملابسهم عادة مزينة بالقصب وبحواشي الذهب أو الفضة أو الحرير، طبقا لغرور الشخص وثرواته أما شكل العمامة وثناياها ونوع المادة التي صنعت منها، وهي المقياس الذي يحكم عليه الناس بقيمة الذي يلبسها، وفوق جميع ملابسه يرتدي الرجل الكرغلي برنسا يحمله على كتفيه ويغطي به كل جسمه، والبرنس نوع من المعاطف له شكل دائري تلصق في خلفه في الوسط "القلمون" وهي وسيلة تحميه من المطر.[1]

ثالثا: فئة الحظر البلدية

وتتألف من مجموعة سكانية قاطنة بالمدن والتي ترجع أصولها إلى الفترة الإسلامية وكما يعرفهم نور الدين عبد القادر: "...الجزائريون أصالة الذين توطنوا المدينة منذ زمان بعيد."[2] بالإضافة إلى المهاجرين من الأندلس، وكان لهذه الفئة دور هام في المجال الاجتماعي والاقتصادي والعسكري لكنها كانت محرومة من المهام السياسية وذلك لاحتكار العثمانيين السلطة.[3]وقد تميزت هذه الفئة بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم وبوضعهم الاجتماعي المميز الذي جعلهم يشكلون طبقة اجتماعية ميسورة، حيث يشتغل أفرادها بالمهن، صناع مهرة وتجار نشيطون، وبحارة مغامرون وفقهاء وعلماء متفوقون ومتمكنون.[4]

[1] ابوراس الناصري محمد بن أبي أحمد، المرجع السابق، ص:37.

[2] نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، الجزائر، مط ،البعث، قسنطينة، 1965م، ص:138.

[3] سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص:97.

4ابوراس الناصري محمد بن أبي أحمد، المرجع السابق، ص:39.

ومن أهم العناصر المشكلة لهذه الفئة، طبقة الأشراف ومهاجري الأندلس.

أ. طبقة الأشراف

وهي تمثل فئة قليلة، وهي تعود في نسبها إلى أهل البيت أي منحدرين من سلالة النبي عليه الصلاة والسلام[1]واشتهر أغلب أفرادها بالاحترام، والتقدير للحكام العثمانيين وأيضا لسكان، واختصر نشاطهم في المحافظة على امتيازاتهم، كما أنهم لم يؤثروا في نظام الحكم[2]، وكانوا معفون من الرسوم أي الضرائب. وهذا من خلال الامتيازات التي منحهم إياها عروج.

ويشتغل أفرادها في التجارة والصناعة والبساتين وتتمثل منتوجاتهم في القمح والشعير والحرير والأغنام والأبقار.[3]

أما فيما يخص علاقة هذه الفئة بالحكام العثمانيين، كانت علاقة طيبة، طوال العهد العثماني وهناك عدة دلائل تؤكد ذلك حيث كان الحكام يحترمون هذه الفئة من الأعيان، والعلماء والمشايخ لاستحكام العلاقات بين الطرفين منذ مجيء العثمانيين إلى مدينة الجزائر، ويظهر ذلك في إعفائهم من دفع الضرائب، وتعيينهم في بعض المناصب الإدارية.

ويرجع بعض المؤرخين موقف الحكام العثمانيين من الأشراف إلى دوافع دينية، كما أنه توجد دوافع سياسية جعلت حكام الأتراك يتقربون من الأشراف لإدراكهم دورهم ومكانتهم في المجتمع الجزائري، ومدى سعادتهم لهم بإخضاعهم السكان.[4]

1التوايسة أديب عبد الله، المعجم الشامل للقبائل العربية والأمازيغية، دار المعرفة للطباعة، ج2،د ط، الأردن، عمان، ص:733.

[2]حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر، نشأتها وتطورها قبل 1830م، دار الفكر الإسلامي، ط1، الجزائر، 1972م، ص:268.

[3]عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة للطباعة، الجزائر، 2005م، ص:358.

[4]شيوتام أرزقي، المرجع السابق، ص:96.

ب.المهاجرون الأندلسيون:

بعد ما استولى الإسبان المسيحيون على كثير من البلاد الأندلسية وسيطرتهم على قرطبة و مرسية و طليطلة وغيرها من المراكز التي انتشر فيها أعداء الإسلام، وبقيت مملكة غرناطة آخر المعاقل الأندلسية تعيش أيامها العصيبة خلال القرن التاسع هجري بعد أن ودعت عهد الأمان والاستقرار الذي كانت تتمتع به في أواخر القرن الثامن هجري، وكان الإسبان النصارى، يحاولون الإطاحة بما تبقى من المراكز التي يسودها النظام الإسلامي والقضاء نهائيا على نفوذ المسلمين بالجزيرة الأندلسية، ولما اشتد الخناق على المسلمين وبعد فشلهم في مواجهة العدو قرروا الهجرة والانسحاب للمحافظة على دينهم و مبادئهم.[1] ومن هنا بدأت هجرات الأندلسيين تتوافد في الشمال الإفريقي وقد تواصلت هجراتهم إلى الجزائر حتى قوي شأنهم وازداد نفوذهم خلال القرن 15م.[2] حيث أصبحت لهم دراية واسعة ببلاد الجزائر، ورغم إعتبارهم أنهم في دار هجرة مؤقتة يترقبون الوقت الذي يتمكنون فيه من العودة إلى مواطنهم الأصلية إلا أن تأثيرهم في المجتمع الجزائري كان عميقا، وهذا بكونهم أكثر ثقافة وتطورا ونشاطا من باقي الجماعات الأخرى فهم بحق يستحقون كل تقدير لأنهم طوروا المهن والأشغال اليدوية بالمدن، بمعنى آخر أفرغوا كل ما جلبوه معهم من الأندلس في المجتمع الجزائري ليكتسي بذلك حلة رائعة.[3]

وهذا يعني أن الهجرة الأندلسية كان لها انعكاس إيجابي للجزائريين في كل المجالات: الاقتصادي و الإجتماعي و الثقافي، وحتى على القدرات الدفاعية للبلاد، حيث إنضم عدد من الأندلسيين إلى صفوف الجيش العثماني لمواجهة الخطر الإسباني الذي كان يهدد المدن الجزائرية

[1] القلصادي أبي الحسن علي، رحلة القلصادي، تق، محمد أبو الأجثان، د ط، الشركة التونسية للتوزيع، 1978م، ص.ص:17،18.

[2] سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص:148.

[3] ابوراس الناصري محمد بن أبي أحمد، المرجع السابق، ص:39.

الساحلية، وقد أصبحوا عبر الزمن دعما أساسيا للعثمانيين في الجزائر.[1]وقد استطاعت الجالية الأندلسية بفضل نشاطها الاقتصادي الواسع من تكوين ثروات ضخمة ساهمت في فعاليات الاقتصاد أيالة الجزائر[2] حيث شكل مهاجري الأندلس بورجوازية الملاكين والتجار.[3]

ولقد ساهموا في تطوير الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية من خلال التوسيع وبناء المدن في الجزائر وإنشاء مدن جديدة، إذ لم يكن بإمكانهم الالتحاق بالجيش أو الوظائف العليا، لذلك اتجهوا إلى ممارسة عدد من الصناعات المحلية منها صناعة البارود والخزف وغيرها بفضل الأموال التي جلبوها معهم من الأندلس.[4]

وكان للنشاط الاقتصادي للأندلسيين دور كبير في احتفاظهم بعاداتهم وتقاليدهم، فقد كانوا يتميزون بدقة الذوق والملبس والمتاع والتفنن في العمارة والنحت والموسيقى والغناء، كما كانوا يشتهرون بتحضير القرميد والزليج، والمحصصات ذات الزخارف والأشكال و التخريمات الجميلة.[5]

رابعا: جماعة البرانية

وتتكون هذه الفئة الاجتماعية من العناصر التي هاجرت إلى المدن الكبرى كالجزائر وقسنطينة وتلمسان نتيجة لانتشار ظاهرة النزوح الريفي بحثا عن العمل والرزق[6] وفدوا إليها من خلال بسكرة

[1] شيوتام أرزقي، المرجع السابق، ص:104.

[2] هلالي حنفي، الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني، على ضوء السجلات والمحاكم الشرعية، ص:05.

[3] غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، 1700-1830م، مقاربة إجتماعية إقتصادية، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001-2002م.

[4] المشهداني، مؤيد محمود حمد، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج (5)، ع (16)، 20013م، جامعة توكرت، ص:462.

[5] ابوراس الناصري محمد بن أبي أحمد، المرجع السابق، ص:40.

[6] مقصود محمد، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، 1519-1830م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2014م.

وجيجل وبلاد القبائل ووادي مزاب والأغواط والعبيد السود الذين جلبوا من أقطار افريقية سوداء للعمل في تنظيف البيوت والبناء.[1]

وهؤلاء كانوا معتادين على الهجرة إلى مدينة الجزائر لقضاء فترة من الوقت لا تزيد في الغالب عن ستة أشهر ثم يعودون إلى أوطانهم الأصلية بعد أن يجمعوا نصيبا من المال.[2]

وسنتطرق إلى كل عنصر من جماعة البرانية فيما يلي:

أ. **الجيجليون**

يعتبر هذا العنصر من أقدم العناصر البرانية المستقرة بالجزائر لكسب قوتها منذ استقرار الأخوين

بربروس عروج وخير الدين[3]، وكانت لهم مكانة خاصة ذات امتيازات حيث كان لها الحق في حمل السلاح وهذا لم يحظى به أي عنصر من العناصر البرانية، كما أنهم كانوا يرتدون الملابس المزركشة والمطروزة بخيوط الذهب على الطريقة التركية.[4]

ب. البسكريون:

وصفهم وليام سبنسر أنهم جماعة البرابرة السود في المنطقة المحيطة ببسكرة على حافة الصحراء الجزائرية وأنه هناك بسكريون آخرون كانوا يوظفون كحراس على الممرات لمختلف الأحياء بمدينة الجزائر فيغلقونها ويحكمون إقفالها خلال الليل[5] كما أن عنصر البساكرة يضم عناصر أخرى وفدت من

1عمورة عمارة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى سنة 1962م، دار المعرفة، د ط،ج1، الجزائر، 2006م، ص: 258.
2حليمي عبد القادر، مرجع سابق، ص:258.
[3]سعيدوني ناصر الدين والشيخ البوعبدلي، مرجع سابق، ص:99.
[4]غطاس عائشة، المرجع السابق، ص، 22.
[5]وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق، عبد القادر زيادية،د ط، ش.و, ن. ت. ، الجزائر، 1980م، ص:100.

من مناطق مختلفة مثل الزيبان، ووادي أريغ،[1] وسوف، و تقرت.[2] وهم خاضعون لحاكم الجزائر ويعتبرون من أهدء العناصر وأخلصها حيث كانوا يستعملون في كثير من الاحيان في خدمة المنازل ويتمتعون بثقة السكان فيهم وكانوا يحتكرون صناعة الخبز، كما استخدمتهم الحكومة في إنجاز الأشغال العمومية، ويستخدمون أيضا كوسطاء في التجارة بين مدينة الجزائر وغداميس، وهم لا يدينون بغير الدين الإسلامي.[3] وقد وصفهم وليام سبنسر بالعميان وهذا دلالة لأن عاهة فقدان البصر كانت كثيرة في الأمة البسكرية ويمكن أن تكون نتيجة الجو أي المناخ الصحراوي.[4]

ج. الأغواطيون

وهم يسكنون الجبال التي تقع على حدود الصحراء أي بجبال العمور وجبال الأغواط يعيش بعضهم من خلال تربية المواشي، والبعض الآخر من الفلاحة والكثيرون يقتربون من مدينة الجزائر للاشتغال بالزراعة، ولهم ميول كثيرة إليها،[5]وهم ينسبون إلى الزناجرة وأولاد نايل،[6]وكان بعض أفراد هذه الجماعة يقومون بأعمال متواضعة، كاستخلاص الزيوت والمتاجرة فيها، ويشتغل البعض الآخر في نقل البضائع وأعمال تنظيف وأيضا الكيل، والوزن في الأسواق، و الأغواطيون كانوا يقدرون ويحترمون السلطة العليا أي حاكم الجزائر، وهذا لأنهم كانوا يدفعون الإتاوة للجزائر بانتظام.[7]

---

[1] وادي أريغ: يقع في الشمال الشرقي من الصحراء الجزائرية، تت في منخفض مستطيل الشكل طوله 160 كلم، ويتراوح عرضه بين 30و40 كلم، ينظر، الطيب سعد، الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني، وادي أريغ نموذجا، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، قسم التاريخ، المركز الجامعي لغرداية، العدد 15، 2011م، ص:429.

[2] سعيدوني ناصر الدين والشيخ البوعبدلي،المرجع السابق، ص:100.

[3] وليم شلر، المرجع السابق، ص ص:109-110.

[4] وليم شلر، المرجع السابق، ص:100.

[5] سيمون بايفر، الجزائر عشية الإحتلال، تع وتق، أبوالعيد دودو، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1974م، ص:154.

[6] سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1979م، ص:45.

[7] العوامر إبراهيم محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ط2، ص:39.

د. القبائل

تسمية قبائل مشتقة من الكلمة العربية (قبيلة)، جمع قبائل[1] يسكنون في سلسلة جبال الأطلس الممتدة فيما بين المغرب نحو(فاس) والمشرق نحو (تونس) وهم يقيمون في أماكن متفرقة ويتكلمون لغة خاصة تختلف عن كل اللغات الإفريقية الأخرى، ولهم عادات خاصة بهم وحتى لباسهم الخاص بهم[2]وكان القبائل تحت خدمة الأتراك والبلدية الأثرياء، فكان البعض يقوم بالخدمات المنزلية والبعض الآخر يشتغل في البحاير، والجنان بالخصوص، كما مارسوا نشاطات حرفية وتجارية مثل العمل في ورشات الحرفيين، أو بيع زيت الزيتون، الصابون والعسل، وكان بالمدينة سوق خاص بهم عرف بالقبايل، كما مارسوا صناعة الفحم وبيعه بحيث شكلوا جماعة عرفت بالقبايل الفحامين.[3]

هـ. بني مزاب

هذه الجماعة هي أصل موضوعنا نتطرق لها بالتفعيل في الفصل الأول والثاني.

خامسا: الدخلاء:

وسميت هذه الفئة بهذا الاسم لتميزها عن مجموع سكان البلاد لأسباب دينية وحضارية، وتضم مايلي: اليهود (أهل الذمة) والمسيحيين، الأسرى والأحرار

أ. **أهل الذمة (اليهود):**[4]

1وليم شلر، المرجع السابق، ص:113.

2سيمون بايفر،المرجع سابق، ص:149.

3محرز أمين، المرجع السابق، ص:106.

[4] أهل الذمة: في اللغة، الأمان والعهد، فأهل الذمة أهل العهد والذمي: هو المعاهد، والمراد بأهل الذمة في اصطلاح الفقهاء، الذميون والذمي نسبة إلى الذمة أي من العهد من الإمام، أوممن ينوب عليه بالأمن على نفسه وماله نظير التزامه الجزية ونفوذ أحكام الإسلام، وتحصل الذمة لأهل الكتاب ومن حكمهم بالعقد أو القرائب أو التبعة، فيقرون على كفرهم في مقابل الجزية، ينظر، الزناتي انور نحمود، معجم المصطلحات، ص:47.

كانوا يشكلون القلة ويرجع أصولها إلى ما قبل الفترة الإسلامية، بحيث منهم من فر مع مسلمي الأندلس جراء اضطهاد النصارى لهم.[1]

وقد انقسمت جماعة اليهود تبعا لاختلاف أصول أفرادها إلى فئتين هما:

اليهود الأهالي: وهم يهود الجزائر الأصليين وما انضم إليهم خلال القرن السادس عشر ميلادي من يهود تونس، وفاس وتلمسان.

اليهود الأوروبيون: وهم الوافدون من أوروبا، وكان أبرز ممثلوا هذه الفئة هم يهود الإسبان والقرانة.[2]

ويشتغل معظم اليهود بالتجارة ويمارس عدد منهم مهن مختلفة ويختلفون عن غيرهم من العمال بالمهارة والنشاط وأفضلهم الصاغة والسمكرية والزجاجون والخياطون والحدادون والخراطون.[3]

وقد اكتسب اليهود عادات وتقاليد الأهالي، واتخذوا اللغة العربية كأداة تعبير في معاملاتهم اليومية، وطقوسهم الدينية وحتى في معاملاتهم التجارية في البحر الأبيض المتوسط التي كانت تفوق إمكانية الحكومة التركية،[4]وكانوا يتمتعون بثقة الحكام الأتراك، وتفضيل الأندلسيين التعامل معهم نظرا لكون غالبية اليهود ذوي أصول أندلسية ويتشابهون في نمط العيش والحياة معهم[5]وكان يتولى شؤون اليهودية أمين منهم يعينه الداي، ويدفعون له جزية سنوية عن كل رأس منه[6]ويذكر حمدان بن عثمان خوجة إن اليهود ارتبطوا بالأتراك من أجل المصلحة وقد جمعوا في هذه الظروف أموالا طائلة.[7]

1 عمورة عمار، مرجع سابق، ص:226.

2محرز أمين، مرجع سابق، ص.ص:108-109.

3سيمون بايقر، مرجع سابق، ص:182.

[4]وليام سبنسر، مرجع سابق، ص:84.

[5]ابوراس الناصري محمد بن أبي أحمد، مرجع سابق، ص:41.

[6]حليمي عبد القادر، مرجع سابق، ص:229.

[7]حمدان بن عثمان خوجة، مرجع سابق، 120.

المسيحيون:

المسيحيون الأحرار: كانت هذه الفئة قليلة العدد وكانت تضم عددا هاما من التجار والسماسرة الذين وفدوا عن المدينة أساسا لشراء أملاك إخوانهم في الدين، والتي كان يعاد تصريفها في أسواق مرسيليا، وليفورنووجنوه وأمستردام وكانت إقامتهم بالمدينة مؤقتة، وإلى جانب التجار والقناصل، يوجد بعض رجال الدين الذين كانوا يقومون باقتداء الأسرى ورعايتهم بأموال التبرعات، كانوا يشرفون على سير شؤون الكنائس والمصحات الموجودة بالسجون، وكان أغلب الأوروبيين يقيمون في دور المستأجرة وفي الفنادق في القسم الشمالي الغربي من مدينة قرب باب الوادي.[1]

المسيحيون (الأسرى والأرقاء): كانت تمثل هذه الفئة الأغلبية في فئة الأوروبيين المسيحيين[2]وكانوا يتمثلون في مختلف الأجناس بحيث فيهم الإيطاليون والإسبان والانجليز والبرتغاليون والفرنسيون والهولنديون والإغريق والصقالبة، وكان مصدر هؤلاء الأسرى يرجع بشكل رئيسي إلى عمليات الجهاد البحري سواء نتيجة المعارك البحرية ومطاردة السفن الأوروبية، أو عن طريق الإغارة على سواحل وجزر الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط والشمال الأطلسي[3]، وبلغ عددهم في القرن الثامن عشر نحو1800-2000 أسير وكانت حياتهم أحسن، كانوا يشتغلون في رعاية البساتين وخدمة قصور الداي.[4]

وقد ذكر الأسير تيدنا أنه معاملة الجزائريين للأسرى المسيحيين كانت معاملة حسنة وأنها أحسن من معاملة الأسرى المسلمين في الدول الأوروبية.[5]

---

[1] محرز أمين، مرجع سابق، ص:111.

[2] عياد صالح، مرجع سابق، ص:263.

[3] محرز أمين، مرجع سابق، ص:110.

[4] عباد صالح، مرجع سابق، ص:263.

[5] عميراوي أحميدة، الجزائر في أدبية الرحلة والأسرى خلال العهد العثماني، مذكرة تيدينا نموذجا، دار الهدى للطباعة، الجزائر، 2009، ص.54

سادسا: جماعة الزنوج

والتي تتكون من الأحرار والعبيد السود الذين جاءوا عبر الواحات الصحراوية بحثا عن العمل كان أغلبهم من السينغال والسودان، وقد بلغ عددهم في القرن الثامن عشر ميلادي ما بين 2000-3500 نسمة بمدينة الجزائر، اشتغل هؤلاء العبيد في الأعمال المنزلية من خلال قيامهم بالتنظيف والغسيل أما الأحرار فكانوا في شكل جماعات منظمة يرأسها أمين يدعى قائد الوصفات[1]، ومارسوا أيضا مختلف المهن كالبناء والنسيج، إضافة إلى ممارسة بعض الفنون كالغناء والرقص والموسيقى.[2]

[1] نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص:138.

2سعيدوني والبوعبدلي، مرجع سابق، ص:99.

الفصل الأول

التشكيل التاريخي لمنطقة وادي مزاب

- المبحث الأول : البيئة الطبيعية لمنطقة وادي مزاب.

- المبحث الثاني : تحول بني مزاب من الإعتزال إلى المذهب الإباضي.

- المبحث الثالث: نشأة وتطور مدن واد مزاب .

الفصل الأول

المبحث الأول: البيئة الطبيعية لمنطقة وادي مزاب

أولا: الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة وادي مزاب

تقع منطقة وادي مزاب في جنوب الجزائر في شمال الصحراء[1] وهي تفصل الصحراء من العرق الغربي الكبير مكونا من سلسلة مرتفعات جبلية تنتهي جوانبها بمنحدرات شديدة ووعرة[2] تبعد من مدينة الجزائر بـ 600 كلم تتميز بإقليم صحراوي حيث يتسم بكل خصائص البيئة الصحراوية.[3] تقدر مساحتها بـ 2.750.000 هكتار في ناحية تسمى بـ الشبكة وهذا لتخللها العديد من الأودية لا يتجاوز عمقها مائة متر تتجه كلها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، عند بحيرة يكشفها الرمال شمال غرب ورقلة.[4]

ويحد مزاب من جهتي الشمال والغرب واحة الأغواط (صحراء الأربعاء، الحرازية، المخاليف) ومن الشمال الشرقي صحراء أولاد نايل أي منطقة الجلفة، ومن الشرق واحات الحجيرة والعلية ومن الجنوب الشرقي واحات ورجلان ومن الجنوب الغربي ميتليلي وترتفع منطقة وادي مزاب عن مستوى البحر بين 300-800 مترا.[5]

---

[1] دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، عالم المعرفة، ج1، ط2، الجزائر، 2013م، ص.54

[2] راشدي جراية، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث، رسالة ماجستير، جامعة المنتوري، قسنطينة، 2007-2008م.

[3] يوراس يحي، العمارة الدفاعية في مدينة واد مزاب: نموذج قصر بني يرقن، رسالة ماجستير، قسم الآثار جامعة الجزائر، 2001-2002م.

[4] بن يكير الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب، دراسة إجتماعية وإقتصادية وسياسية، د ط،عاصمة الثقافة العربية، الجزائر 2007م، ص:09.

[5] موهوبي عبد القادر السائحي الإدريسي الحسني، ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي أريغ ومزاب وورقلة والطيبات العلية والحجيرة، د ط،دار البصائر، الجزائر، 2013، ص:116.

وتنحصر بين خطي عرض 15° و31° شمالا خط الاستواء إلى 33° وخط طول 2.30° إلى 5° شرقا.[1]

مناخ منطقة مزاب

يسود هذه المنطقة المناخ القاري الذي يمتاز بارتفاع الحرارة إلى 50° أو أكثر صيفا ونزولها إلى درجة أو درجتين تحت الصفر شتاءا إضافة إلى جفاف الهواء طيلة أيام السنة، وأكثر ما تتعرض له المنطقة تلك الرياح المحملة بالرمال القادمة من الجنوب الغربي خاصة في نهاية الشتاء وبداية الربيع ولا يصل معدل الأمطار إلى أكثر من 67 ملم سنويا.[2]وقد انعكست هذه الوضعية على الأودية فكانت تجف لسنوات ثم تسيل فجأة خاصة عند ارتواء طبقة المياه الجوفية وتغلب سرعة تدفق المياه على سرعة التبخر والامتصاص من الأرض، تسود المنطقة كغيرها من المناطق الصحراوية نباتات قصيرة وكثرة الأشواك وطول الجذور كالحشائش مثل: السدر والشيح و القرطوفة والنجم إضافة إلى شجرة البطم أما النخلة وغيرها من الأشجار المثمرة فهي من النباتات التي بذل الإنسان مجهودا معتبرا لتتأقلم مع ظروف المنطقة[3].

أصل تسمية بني مزاب

لقد اختلف المؤرخون في كتاباتهم حول أصل كلمة بني مزاب وأيضا على أصل سكانهم حيث كل منهما كان له رأي تسمية مصعب أو مزاب، ومن أهم هذه الآراء ما يلي:

[1]Poul soleillet l'afrique occidental algerie,mzab,tildikelt,1877,p:78.

[2]بن بكير الحاج سعيد يوسف، مرجع سابق، ص:09.

[3]عزب خالد، السياسة الشرعية وفقه العمارة، الحدود الفاصلة والمشتركة، مجلة وحدة الدراسات المستقبلية، ع (14) الاسكندرية 2013م، ص:07.

1. يقول الشيخ مبارك الميلي: و "من أفخاذ بادين، مصاب بالوطن المعروف بهم المدعواليوم مزاب، والذي وصاد متقاربان".[1]

ومصاب هذا هو مصعب بن محمد بن بادين، انتقل مع بنوه إلى بلاد الشبكة مع بني إخوته عبد الواحد وتعيين وزردال، وهم الطبقة الثانية من زناتة.[2]

2. ويقول الشيخ عبد الرحمن باكلي: "سكان مزاب الأصليون من قبيلة مصعب البربرية"

وسبب تحريف مصعب إلى مزاب أن هناك من البربر لا يستطيع النطق بالعين المحققة وإنما ينطق بها همزة وقد يسهلها إلى الألف ونجد ذلك جليا في بعض المخطوطات القديمة كثيرا ما نقرأ فيها كلمة أمي سعيد وأمي عيسى بدلا من عمي عيسى ثم إذا تقاربت الحروف الصاد والزاي وحرف الضاد من جهة وتعدد لهجات الألسنة من جهة أخرى وتقادم العهد من جهة ثالثة أدت إلى اختلاف في نطق هذه الكلمة بحيث قالوا: مصعب ومصاب، ومضاب، ومزاب، وميزاب وما يؤكد هذا الرأي، إبدال بني مزاب للصاد زايا في بعض الكلمات مع تفخيمها مثل الصلاة والصوم، اللتين أصبحتا تزاليت والزومي.[3]

3. وقال الشيخ أطفيش أنهم أصحاب الميزاب نسبة إلى أبي بلال الذي دخل حجر الحطيم في ليلة مقمرة صاحية قطرت عليه قطرة من الميزاب أي ميزاب الكعبة.

وهناك من قام بتبسيط الموضوع لأن بنو مزاب هم أبناء مصعب أو مصاب وكلمة بنو مصعب مع مرور الزمن وما يحدث من تحريف لبعض الحروف نتيجة اختلاف لهجة كل مجتمع من المجتمعات المزابية التي يتعاملون بها يوميا، قد يحدث اختزال لبعض الحروف وإدغامها أو استبدالها

[1] بن بكير الحاج سعيد يوسف، مرجع سابق، ص:09.
[2] حمو عيسى النوري، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج1، د ط، باريس، 1984، ص:27.
[3] بن بكير الحاج سعيد يوسف، مرجع سابق، ص:13.

بحرف أو حروف أخرى وهذا ما حدث لكلمة مصعب التي حولت إلى مصاب ثم مزاب ويؤكد على يحي معمر أن كلمة مزاب محرفة من مصعب أو مصاب.[1]

أصل المزابيين

يرجع أصل السكان الأوائل لمنطقة مزاب إلى العنصر البربري والذي يعد من أقدم أمم العالم وأشهر أجياله[2]، وقد كانت بعض المجموعات من البربر عاشت منذ أحقاب بعيدة في الشمال الإفريقي من برقة شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا[3]، ويرجع إبن خلدون كلمة البربر إلى كثرة بربرتهم والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات الغير مفهومة[4]، والجماعة التي كانت عنصر من عناصر السكان المزابين زناتة فرع من البربر وقد ذكر ابن خلدون عن نسبهم حين قال أنهم من ولد شانا بن يحيا بن صولان بن روماك بن ضري بن سقفوبن مادغيس بن هواك بن هريك بن يدابن بديان بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام.[5]ولم يكن العنصر البربري الوحيد الذي يتواجد في مزاب بحيث يوجد الكثير من العناصر التي سكنت المنطقة، وذلك من خلال الهجرات والتوافد إلى مزاب ونتج عنها اختلاط و مزج ومصاهرة كان هناك مختلف الأجناس وهي القادمين من الفرس من خلال الحملات الدعوية، ومن سجلماسة[6] الواقعة في الجزء الجنوبي من المغرب الأقصى على الطريق المؤدي إلى بلاد السودان الغربي والتي كانت مقرا للإباضية الصفرية.[7]وهناك من قدم من جبل نفوسة[8]

---

[1] موهوبي عبد القادر السائحي، مرجع سابق، ص:113.

[2] الميلي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق وتص ،محمد الميلي، دار الغرب الإسلامي، ج1، د ط، بيروت، لبنان ص:80.

[3] الزياني أنور محمد، معجم المصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة عين شمس، ص:58.

[4] الموسوعة العربية العالمية، ج4، ط2، ص:295.

[5] إبن خلدون، عبد الرحمان بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومما عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، إعتنى به عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، مج07، لبنان 2010، ص:12.

[6] موهوبي عبد القادر السائحي، مرجع سابق، ص:119.

[7] المعموري محمد عبد الله، تاريخ المغرب والأندلس ،دار الصادق الثقافية، د ط،المكتبة الأردنية، عمان، ص.ص:404-407.

[8] موهوبي عبد القادرالسائحي، مرجع سابق، ص:119.

المتواجد في تونس بإقليم صفاقص وجربة بالذات، وسكانه متميزون بالإستقلالية وتمسكهم بحريتهم الخاصة[1]وكذلك من جربة[2]وجزيرة مجاورة ليابسة وكلها منبسطة رملية[3] يتوطنها قبيلتان هما أولاد معاوية معاوية وأولاد ستونة، وكانت لهجة سكانها بربرية ممزوجة بكلمات عربية[4] بالإضافة إلى وفود بعض القبائل القادمة من مختلف الأنحاء، فمنهم أولاد الشرفا (الأشراف) والتي يرجع أصلها إلى إقليم الحجاز وهم يدعون القرابة بسيدنا محمد صل الله عليه وسلم عن طريق نسلهم من الإمام الحسن ونسبهم البعض إلى عقيل بن علي إلى أن فواد عدهم وقسمهم إلى قسمين: بقايا من قريش والآخر إلى سلالة الحسن والحسين.[5]وهناك قبيلة المذابيح التي يعود أصلها إلى اليمن بصحراء الأحقاف قدموا قدموا عن طريق السودان ثم ليبيا فالجديد واستقروا في الماية جنوب جبل العمور ثم استقبلهم عمي عيسى إلى غرداية لمناصرتهم وكانوا حوالي إثنان وأربعون عائلة وكان لهم في مزاب حي خاص بهم خارج الصور ومقبرة تعرف بإسم سيدي سليمان[6]وتوجد قبيلة المرازيق أوبني مرزوق وهم من المحاميد والبقوم ومنهم الحوامين، الرحيلات، الرشادية والجراذية، الثمارين، والسمون، الحضارين، المشاليف[7].

لجئوا إلى غرداية عندما وقع نفيهم من نفزاوة كانوا حوالي ثلاثين عائلة ويذكر الشيخ صالح عمي سعيد هوالذي قبل هؤلاء اللاجئين سنة (933هـ/1527م) وفرقهم على بعض عشائر غرداية كنزلاء مقابل بعض الشروط، من هذه الشروط أن يدفعوا للعرش سدس محاصيلهم وأن يتجندوا مع المواطنين إذا هجم عدوعلى الوطن لكن قبيلة بني مرزوق لم توفي بالشرط الأخير حين هجم البدو

[1] كاريخال مارمول، إفريقيا، تر، محمد حجي وأخرون، مط المعارف الرباط، د ط،المملكة المغربية، 1989م، ص:179-180.
[2] موهوبي عبد القادر السائحي، مرجع سابق، ص:119.
[3] الوزان حسن، وصف إفريقيا، تر،محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ج2، ط2، بيروت لبنان، 1983م، ص:93.
[4] كاريخال مارمول، المرجع السابق، ص:105.
[5] نواسة عبد الله، المعجم الشامل للقبائل العربية والأمازيغية، دار كنوز المعرفة، ج2، الأردن، عمان، 2012م، ص:732.
[6] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:60.
[7] نوايسة عبد الله، المعجم الشامل للقبائل العربية والأمازيغية،ج3،ص ص:12-19.

الغرابة على غرداية يوم 11 شوال 945هـ/1539م، فوقفوا إلى جانب العدو وناصروهم، فتم طردهم من غرداية بسبب الخديعة هذه، ثم وقع تجديد وتم إرجاعهم إلى غرداية عام 949هـ-1543م، وكان للمرازيق مقبرة خاصة وهم لا ينكحون بناتهم للأجنبيين عنهم أما حرفتهم فكانت النسيج والخياطة.[1]

وهناك أيضا بعض العائلات اليهودية المستقرة في مدينة الغرارة.[2]ويقول بريقس: "إن بربر اليهود هاجر بعضهم إلى مزاب عند خراب تمنطيط قرب أدرار في توات عام 1492م/897هـ، على يد الشيخ إبن عبد الكريم المغيلي من الساقية الحمرا وهذه المدينة إتخذوها عاصمة في القرن الرابع ميلادي، وانضم إلى هؤلاء اليهود آخرون قدموا من مختلف أقطار شمال إفريقيا، وكان اليهود بغرداية يسكنون حيا خاصا بهم جنوب غرب السور اشتهر بقذارته، وكانت لهم مقبرة خاصة كما كان بعضهم في بنورة، أما حرفتهم فهي صياغة الحلي وصناعة الأواني المعدنية ولم يسمح لهم ممارسة التجارة في مزاب ولا امتلاك الأراضي الفلاحية.[3] كما يوجد الوافدين من وادي أريغ وورجلان وسدراتة وهناك العجم والزنوج[4]، القادمين من مختلف أنحاء الإفريقية والأسيوية استقروا في الشمال الإفريقي وكان هؤلاء مميزون عن مختلف الأجناس المتواجدة في مزاب، حيث كانوا ذوبشرة سوداء وشعر مغلغل وأنف عريض وشفاه غليظة.[5]

وكل هؤلاء جمعهم الإسلام المالكية والإباضية معا إلى أن سيطرة الإباضية على المنطقة فكانت لها الغالبية في بعض الأزمنة.[6]

---

[1] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص ص:60-59.

[2] المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر،رمكتبة النهضة المصرية، د ط،ا لقاهرة، 2001م، ص:237.

[3] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:59.

[4] موهوبي عبد القادر السائحي، مرجع سابق، ص:119.

[5] فليجة أحمد نجم الدين، إفريقيا، دراسة عامة و إقليمية،م ط الإنتصار الاسكندرية، ص:194.

[6] موهوبي عبد القادر السائحي، مرجع سابق، ص:120.

اللغة المزابية:

يعود أصل اللغة المزابية إلى الزناتية وهي قريبة جدا من القورارية والشاوية والشلحية والنفوسية[1]، وهذا لأن لهجة زناتة متأثرة بلهجة لواتة وهوارة التي انتقلت من جبال الأوراس وحلت بوادي مزاب واستقرت فيه وامتزجت بأهله وبلهجة لماية التي انتقلت طوائف منها من جربة إلى وادي مزاب فاستوطنته وذابت في أهله وبلهجة نفوسة التي جاءت رافات إلى مزاب وقد أثرت كل هذه الجماعات التي استقرت في مزاب على اللهجة البربرية المزابية، وكان للهجة الزناتية الأصل حيث نجدها لغة مصقولة، واسعة جميلة الجرس عذبة النطق ورمينة ينطق بها كما ينطق بالعربية الفصحى و الوضوح حيث يأخذ كل حرف قسطه من الأداء.[2]ومن أهم خصائص اللغة المزابية مايلي:

1. الابتداء بالساكن مثل قولهم لكلمة الحية، (تمارت) وكلمة الشمس (تقويت).
2. إجتماع أكثر من ساكنين في الكلمة.
3. المؤنث في المزابية مختوما بتاء التأنيث وتكون في أول الإسم مثل: المرأة تنطق باللغة المزابية (تمطت).
4. لا يوجد في اللغة العربية صيغة التثنية.[3]

وقد تأثرت اللغة المزابية البربرية كثيرا باللغة العربية وهذا من خلال القرآن الكريم، ولكن الألفاظ المقتبسة منها لم تبقى على هيئتها الأولى، بل صاغها المزابيون على قواعد لغتهم، وركبوها تركيبا جديدا، فانسجمت مع اللغة المزابية وصارت جزءا منها، لا ينتبه إليها إلا من عرف أصلها، فكلمة (أمبارش) أصلها مبارك كلمة (يتزال) معناها يصلي.[4]

---

[1] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:16.

[2] دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة توالت الثقافية، ج1، د ط ،الجزائر،2010م، ص:53.

[3] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص ص:17- 16.

4 ، مرجع نفسه، ص:17.

المبحث الثاني: تحول بني مزاب من الاعتزال إلى المذهب الإباضي

المذهب الإباضي

أولا: النشأة: ترجع نسبة هذا المذهب إلى عبد الله بن إباض بن تيم اللات بن ثعلبة التميمي بحيث كان ابن إباض مع نافع بن الأزرق وعبد الله بن صفار[1] حينما اجتمعوا مع عبد الله إبن الزبير أيام محنته للدفاع عن الحرم وحينما سألوا ابن الزبير رأيه عن الخليفة عثمان رضي الله عنه فخالف رأيهم وأسمعهم بما يسوؤهم، فخرجت الخوارج من مكة واتجه بعضهم إلى البصرة وكان من بينهم نافع وعبد الله بن يامن، بحيث قام بنشر الدعوة في البصرة ثم انتشرت في الجزيرة العربية وشمال إفريقيا، وقد استطاع الإباضين أن يكونوا دولة في عمان أيام أبي جعفر المنصور[2]، بحيث أرسل المنصور جيشا لقتالهم ثم قاتلهم هارون الرشيد لكنهم هزموا جيش الخلافة واستقلوا بها وامتد نفوذهم إلى زنجار وسواحل شرق إفريقيا، بحيث كان نتيجة الدعوة التي قام بها كل من جابر بن زيد، و أبوعبيدة بن سلمة بن أبي كريمة، الربيع بن حبيب الفراهيدي.

وفي المغرب العربي ايضا قامت دويلات إباضية في كل من ليبيا الجزائر وفي جبل نفوسة وفي منطقة تيهرت التي استمرت حركة الإباضية فيها إلى قرابة 150عام حتى سقطت على يد العبيدين وكان وراء انتشار الإباضية في شمال إفريقيا، الإمام الحارث بن تليد، أبو الخطاب عبد الأعلى بن سمح المحاربي، و ابوحاتم يعقوب بن حبيب، ثم حاتم الملزوزي وعبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية.[3]

معتقدات الإباضية: تعتبر الإباضية أقل فرق الخوارج تطرفا وتشددا ومع ذلك فهم من الخوارج ويظهر ذلك من خلال معتقداتهم والتي تتمثل فيما يلي:

---

[1] الشماخي أحمد بن سعيد أبوالعباس، كتاب سير، طبعة حجرية، د،ت، ص:77.

[2] معمر علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ ، التاريخ، الحلقة الأولى من القسم الأول، ص:143.

[3] أبي يحيا بن أبي زكريا، سيد الأئمة وأخبارهم، تح ،إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، د ط، الجزائر، 1979م، ص ص:4-5.

- إنكارهم لرؤية الله في الآخرة.
- صفات الله ليست زائدة على ذات الله ولكنها هي عين ذاته.
- يؤولون بعض مسائل الآخرة تأويلا مجازيا كالميزان والصراط وغيرها.
- يعتقدون أن أفعال الإنسان خلق من الله واكتساب من الإنسان.[1]
- ومرتكب الكبيرة عندهم كافر كفر نعمة أو كفر نفاق لا كفر ملة، ومع ذلك يقولون بأن العاصي مخلد في النار، ومنه إنكارهم الشفاعة للعصات الموحدين وعليه فالناس في نظر الإباضين على ثلاثة أصناف: مؤمنون أوفياء بإيمانهم ومشركون واضحون في شركهم، وصنف أعلنوا كلمة التوحيد وأقروا بالإسلام لكن لم يلتزموا به سلوكا وعبادة، فهم مع المسلمين في أحكام الدنيا لإقرارهم بالتوحيد من عمل أوترك لذلك لا يجوز عندهم أن يدعو شخص لآخر بخير الجنة وما يتعلق بها إلا إذا كان مسلما موفيا لدينه[2]، بالإضافة إلى اختلاف طريقتهم في الصلاة مثل:

- عدم رفع اليدين في تكبير الإحرام.
- والسدل في الصلاة.
- عدم تحريك السبابة في التشهد.
- السر في جميع صلواتهم حتى الجهرية.[3]

[1] لطفي نجلاء، الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية القديمة، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر، ص:28.
[2] معمر علي يحي، مرجع سابق، ص:145.
[3] لقبال موسى، المغرب الإسلامي، ش، و، ن، ت، ط3، الجزائر، 1981م، ص:168.

لمحات من تاريخ الدولة الرستمية

تأسست دولة بن رستم في (تيهرت) حوالي سنة 160هـ/776م وكانت هي الدولة الثانية التي تكونت بالجزائر بعد الفتح الإسلامي. وتميزت باستقلالها وتمردها عن الخلافة.

وتكونت دولة بني رستم من عدة قبائل، بربرية، عربية، فارسية، وكان أكثرها من العنصر البربري الذي إعتنق فكرتها بمجرد وصول دعاتها[1]، وأول مؤسس للدولة عبد الرحمن بن رستم [2]والذي تولى الإمامة بكل همة ونشاط وصبر على الشدائد، كان مبالغا بالأمر عن المعروف والنهي عن المنكر[3]، وقد دامت خلافة الرستميين بتيهرت لمدة 134 سنة وكان الحكم متوارث بين أفراد العائلة، أي داخل البيت الرستمي[4]، حيث بعدما توفي عبد الرحمان بن رستم خلفه ابنه عبد الوهاب بن رستم سنة 171هـ/208هـ، بعد مشاورات أهل الرأي وكان كثير الاهتمام بالفقه الإباضي، وفي عهده تغير نظام الحكم من إتباع مبدأ الشورى إلى توريث الحكم في آل رستم.[5]

وبعدما توفي ترك الإمامة لإبنه أفلح بن عبد الوهاب الذي كان يتولى إدارة شؤون البلاد في حياة أبيه تميز عهده بالازدهار الاقتصادي، والعلمي[6]، وبعد إمامة أفلح جاء بعده أبوبكر بن أفلح

[1] بوعبدلي مهدي، تاريخ المدن بإعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة، ط1، الجزائر، 2013م، ص:425.

[2] الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية في المغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم، ط3 الكويت،1987م، ص:91.

[3] الباروني سليمان، مختصر الإباضية، كوكب المعرفة، ص:38.

[4] إبن صغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح، بحاز إبراهيم محمد ناصر، دار الغرب الإسلامي،د ط، بيروت، لبنان، 1986 ص:21.

[5] إبن عذارى المراكشي أبوعبد الله، البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولات ويلقي بروفيستال، دار الثقافة، ج1 ط2، بيروت، لبنان، 1980م، ص:198.

[6] بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية، دراسة الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والحياة الفكرية، جمعية، ط2، الجزائر، 1993م، ص:107.

وبعده أبو حاتم يوسف الذي في عهده تعرضت الدولة الرستمية إلى هجوم أغلبي قامت بين الرستميين والأغالبة معركة عرفت بمعركة مانوسنة 283هـ/896م، هزت البيت الرستمي.[1]

ثم جاء عهد الإمام اليقضان بن أبي اليقضان 294-296هـ وفي عهده ظهرت الانقسامات والانشقاق داخل البيت الرستمي كل هذه الظروف ساهمت في هزيمة الرستميين أمام العبيديين*. على يد عبد الله الشيعي وكانت هذه أسباب هجرة الإباضيين إلى الأراضي الصحراوية، إبتداءا من يعقوب إبن أفلح الذي ذهب مع أقاربه وأصحابه وأهله قاصدا مدينة ورجلان، واستقبله أبوصالح حيث أكرمه وأحسنوا القيام به وطلبوا أن يولوه الإمامة[2].

وكانت ورجلان ووادي أريغ ووادي سوف في شمال صحراء الجزائر كلها تابعة للدولة الرستمية وبقية هذه النواحي تتمتع باستقلالها وكان في ورجلان جماعة كبيرة من خاصة تيهرت، علماء، تجار أمراء. واستقر بها مدة قصيرة حيث رأوا أنها لا تساعدهم في إنشاء ما يريدون لتكوين مدينة مثل تيهرت، فاختاروا موضع سدراتة لتكون عاصمة لهم.[3] وهي معروفة عند البربر باسم سدراتة فأنشئوا فيها حضارة عظيمة وبنوا قصورا بديعة ومنازل رفيعة وأقاموا بها بساتين ومزارع ومنشآت ضخمة.[4]وازدهرت وفاضت بالخيرات فأسرع الإباضية من مختلف أنحاء المغرب لإستوطانها وأصبحت سدراتة في القرن الرابع هجري عاصمة الصحراء وسوقها الكبرى، وعروسها الفتانة.[5]ولكن لم تدم هذه

---

[1] أبوزكريا، يحيا بن أبي بكر الورجلاني، المرجع السابق، ص ص:154،162.

* العبيدين: وهم من الإسماعلية الشيعة البراء من الشيخين وسائر الصحابة رضي الله عنهم لعدولهم عن بيعة علي رضي الله عنه ويفضلونه ، أنظر، كتاب لحضرة السعادة، أحمد بكا النائب الأنصاري الطرابلسي، المنهل العذب في تاريخ طرابلس، مكتبة الفرجاني طرابلس الغرب، ليبيا، ص:81.

[2] إبن الأثير، عز الدين إبن الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ج6، ط2، بيروت، لبنان، 1986، ص:133.

[3] دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، عالم المعرفة، ج1، ط1، الجزائر، 2013م، ص:155.

[4] بلغرادمحمد، لمحات من تاريخ الدولة الوستمية، مجلة الأصالة، ع 41، محرم 1397هـ/جانفي1976، ص:46.

[5] دبوز محمد علي، مرجع سابق، ص:156.

هذه الحالة لعدة أسباب منها، لقد ذكر المؤرخون عدة أسباب قاهرة لحرب مدينة سدراتة وهجرة أهلها منها بحيث أرجعوها إلى عوامل طبيعية وبشرية منها موقف أهلها من أهل ورجلان الذين اعتبروهم عنصرا منافسا لهم يضايقونهم بالنشاط الحضاري والتقدم الفكري والمهارة الصناعية التي اصطحبوها من تيهرت مقر الإمامة الرستمية.[1] ومما زهده فيها أيضا، وصول بني هلال إلى المغرب والتخريب الأول لسدراتة عام 467هـ/1075م على يد أحد أمراء قلعة بني حماد المنصور بن الناصر، وتعرضها للمرة الثانية للهجوم عام 626هـ /1229م على يد يحي بن إسحاق الميورقي المرابطي المعروف بابن غانية في ثورته ضد الموحدين وخربت نهائيا عام 672هـ/1274م.[2] بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية التي توالت عليها، القحط والجفاف الذي أصاب كل نواحي أراضي سدراتة وما نتج عنه من تضرر الفلاحة[3]، كما تراكمت عليها الكثبان الرملية التي أفسدت كل المحاصيل الزراعية والبساتين وهكذا أصبحت سدراتة على ساحتها وامتداد رقعتها ورسوخ حضارتها خرابا بحيث لم يبقى منها إلا بعض جدرانها وأسس البنايات وسواقي الأجنة وتلك الآثار الباقية إلى عهدنا هذا، أثر سعيد ومقبرة الشيخ صالح جنون بن بريان ويقر ضريح الإمام يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم آخر أئمة الرستميين وآثار محكمتها التي هي في غاية الإتقان.

وبعدما تم القضاء نهائيا على مدينة سدراتة، تفرق باقي سكانها في بلاد واد ملوية في حدود البلاد المراكشية وبعضهم ذهبوا إلى واد مزاب[4]، التي كانت تعتبر ملجأ ومأمن لكل الأسر الإباضية الفارة من اضطهاد الفاطميين ثم المرابطين[5]، وكان واد مزاب في هذه الفترة معمورا بأصحاب الفرقة المعتزلة (القدرية) وهم من مذهب واصل. الذي يعتمد على مبدأ حرية الإنسان وإرادة الإنسان ضد

[1] حمو عيسى النوري، دور بني مزاب في تاريخ الجزائر، ج1،الحلقة الأولى، ص:109.

[2] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص ص:26-27.

[3] دبوز محمد علي، مرجع سابق، ص:157.

[4] حموعيسى النوري، مرجع سابق، ص ص:109-110.

[5] بيشي محمد عبد الحليم، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، عالم المعرفة، د ط، الجزائر، 2015م، ص:37.

إرادة الله.[1] وكان وراء تحول بني ميزاب من الاعتزال إلى المذهب الإباضي الدعوة التي قام بها الداعية أبوعبد الله محمد بن بكر الريفي[2]، المتوفى سنة 440هـ لما جاء من ورجلان موفدا من الرجال الإباضية بها إلى واد مزاب، نزل بتلامذته مدينة العطف ووجد فيها السكان الواصلين، أي المستعزلة نسبة إلى واصل بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة، وقد سمي أتباعه بالمعتزلة لإعتزاله، فبنى مسجده سنة 422هـ. ولا يزال معروفا قائما في العطف إلى يومنا هذا فباشر فيه مهمته التي جاء من أجلها وهي الدعوة إلى المذهب الإباضي وإلى سير العزابة، ونظمها التي يرجع الفضل إليها في بقاء طهارة البيئة، وبقاء الدين الإسلامي بجوهره الخالص في هذا الربوع.[3]

ويذكر "شيخ القطب أطفيش" أن استجابة بن مصعب للشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر لاعتناق المذهب الأباضي، لم تكن بالأمر السهل إذ قتلوا أحد أبناءه، وهو إبراهيم، كما أن هذه الاستجابة لا نتصور أنها جماعية وفورية. فقد ظل عدد كبير منهم على اعتزاله زمنا والدليل على ذلك وجود مقابر للمعتزلة مجاورة للعطف "وأغرم أنوا داي لمليكة" والدليل الثاني ما رواه الشيخ "مطياز": "في بنورة بناحية ختالة مقبرة من النفوسيين استشهدوا في بعض معارك بين المعتزلة والنازحين إلى مزاب وهذا أواخر القرن الخامس".

وهناك دليل آخر استفتاء الشيخ عبد الرحمن الحرفي للشيخ أبي عمار عبد الكافي في مسائل القضاء والقدر وهومن علماء الخمسين الأولى من القرن السادس هجري في سياق الكلام على هذا

[1] حسين إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، دار الجيل، ج1،د ط، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ص:341-342.

[2] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:24.

[3] حمو عيسى النوري، مرجع سابق، ص:56.

التحول المذهبي[1]، بحيث لم يتشكل المجتمع الإباضي في مزاب إلا بعد مضي عشر قرون تم تكوين مجتمع متميز في قرى مزاب بعاداته وتقاليده، وحافظته على المذهب الإباضي.[2]

وذلك من خلال استقبال بني مصعب للمهاجرين من مختلف الجهات من ورجلان وسدراتة بعد توالي الجفاف والكثبان الرملية، وضاقت الحياة فيها.[3]

بالإضافة إلى توافد العراش، منهم المذابيح وبنو مرزوق والمخادمة و الشعانبة و العطاطشة وأولاد نايل، وأولاد يحي، وأغلب هذه الأعراش كانوا بدوا ورحلا يتنقلون بمضارهم وخيامهم وماشيتهم، بين الهضاب العليا بالشمال وأطراف الصحراء بالجنوب طلبا للكلأ والمرعى، في سائر فصول السنة، ولتصريف منتوجاتهم والتزود بالأقوات والضروريات بحيث مع مرور السنين والعصور إستقروا بمضارهم في وادي ميزاب و إمتزجوا بالسكان بحكم التجارة والعمل المهني والفلاحة والتعامل.[4]

[1] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:25.
[2] بيشي محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص:37.
[3] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص ص:26-27.
[4] حمو عيسى النوري، مرجع سابق، ص:122.

المبحث الثالث: نشأة وتطور مدن وادي مزاب

بعد سقوط الرستميين والدمار الذي حل بمدينة سدراتة أي في القرن الخامس هجري توالت الهجرة إلى منطقة واد مزاب من مختلف الجهات وخاصة من الشمال أي من تيهرت عاصمة الإباضيين[1] بحيث كان للإباضيين دور كبير في تأسيس وبناء مدن مزاب السبع وتطورها وهذا لأنهم كانوا حريصين كل الحرص على بناء عاصمة تكون خاصة بهم .[2]

وفي الأخير تمكنوا من تأسيس وبناء هذه المدن وهي كالتالي (تفرادي) غرداية، (تجنت) العطف، (آت بنور) بونورة، (آت أمليشت) ملبكة، (آت يسجن) بني يزقن، وكانت هذه المدن متجاورة مع بعضها البعض ولا تبعد عن بعضها إلا ببعض كيلومترات وتعرف بالمدن الخمس، أما مدينتي آت (إيبرقان) بريان، و(تيقرار) القرارة. فهما بعيدتان عن المدن الخمس، بحيث تبعد بريان بـ 45كلم شمالا عن غرداية، والقرارة بـ 110 كلم شرقا.[3] أما عن الفترة التي استغرقت لبناء وتأسيس هذه المدن لا تقل عن ثلاثة قرون ونصف، وهذا لأنها منطقة صحراوية قاحلة، تتطلب صبرا كثير ومثابرة للبناء فيها.[4]وسنوضح فيما يلي تأسيس كل مدينة.

تتجلى حضارة المزابيين في مدنهم السبع وفنها المعماري ولكننا هنا نقتصر بالحديث فقط على نبذة بسيطة عن تاريخ هذه المدن لأننا وضعنا صفحة خاصة لشرح الفن المعماري الخاص بالمنطقة.

---

[1] دبوز محمد علي، مرجع سابق، ص:163.

[2] جيلالي بن محمد بن عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام من ما قبل التاريخ حتى 547هـ/1153م، دارة الأمة للنشر والتوزيع، ج1، د ط الجزائر،2014م، ص:232.

[3] كامب غابريال، البربر ذاكرة وهوية، تر، عبد الرحيم، حزل إفريقيا الشرق، 2014م، ص:356.

[4] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:23.

أولا غرداية: (تغراديت)

تأسست غرداية (تغراديت) سنة 477 هجرية، 1048 ميلادية وتسمى بجوهرة الواحات وعاصمة وادي مزاب إذ هي أكبر مدن وادي مزاب، حيث تقعفي أعالي واد ميزاب حولهضبة صخرية وكان بناءها على شكل هرمي بديع تعلوا قمته منارة المسجد، وكان لها سور وسوق كبيرة ومنارتان وبوابتان في السور.[1]

أما بالنسبة لموقعها فهي تقع وسط شمال الصحراء الجزائرية تتربع على مساحة كبيرة تقدر بـ 86105 كلم.[2]

وأول من سكنها، الشيوخ بابا والجمة، وأبو عيسى بن علوان سعد، ويعود أصل تسميتها (بتغراديت) بالمزابية هي القطعة المستصلحة من الأرض، والواقعة على حافة الوادي أما عن تسميتها (غرداية) فيعود إلى عجوز زناتية كانت تأوي إلى غار في غرب الجبل الذي بنيت فيه المدينة تسمى (داية) فنسب المكان إليها بحيث سمي (غارداية) وكان أهل غرداية يسمونها لالة ساهلة ويعتبرونها من الصالحات مما جعلهم يقومون بناء لها قبة جميلة في مدخل المدينة وهذا لإحياء ذكراها [3]وكان سكانها يتألفون من قبيلتي المذابيح والمرازيق وكانوا مالكية المذهب، بالإضافة إلى اليهود الذين لهم حارة خاصة بهم سميت بحارة اليهود وكانوا يمتازون بالقذارة التامة.[4]

[1] المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائرية، الناشئة الاسلامية ص:105.
[2] سليماني أحمد، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة للنشر، ص:158.
[3] دبوز محمد علي، مرجع سابق، ص:237.
[4] المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، ص:237.

ثانيا: نشأة (تجننت) العطف:

كانت العطف أقدم قرى وادي مزاب تأسيسا[1] أنشأها خليفة ابن أبيغور عام 402هـ/1012م وكلمة تجننت تدل على مكانها المنخفض وكان بها ثلاثة عشر عائلة أصلها من المعتزلة مقسمة على ثلاث عشائر في المدينة هما أولاد عيسى، وأولاد إبراهيم، وأولاد إسماعيل وكان هؤلاء يملكون دون غيرهم حق استغلال محاجر الجبس على هضبة النومرات في مكان يدعى (تلمسانين) [2]

ثالثا: نشأة (آت بنوز) بونورة:

تقع في أعلى جبل متقطع عن السلسلة الجبلية التي تجاورها من الشرق وتستدير بها من ناحية الشرق كالسور الحصين[3]وهي تبعد عن غرداية بـ 3 كيلومترات فقط تمتاز بأبنيتها البربرية الجميلة[4]، وكان تاريخ تأسيسها سنة 437 هجرية، وأولاد إسماعيل هم أول من قاموا بتعميرها كما إنتقلت إليها طوائف كثيرة من جنوب المغرب الأقصى ومن جبل نفوسة وجربة ومن جبال الأوراس أيضا، وجبال بني راشد وغيرها من أنحاء الجزائر.[5]

رابعا: نشأة (أمليشت) مليكة:

ويعود سبب تسميتها بهذا الإسم إلى الرجال الذين عمروها القادمون من بلاد تسمى أمليكش وهذه قبيلة أمازيغية منتشرة في شرقي الجزائر تأسست عام 756هـ/1355م وهي قريبة من

[1] المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، ص:237.
[2] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:22.
[3] دبوز محمد علي، مرجع سابق، ص:163.
[4] المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، ص:237.
[5] دبوز محمد علي، مرجع سابق، ص:163.

أغرم أنواداي شماله وأكثر إرتفاع منه[1]وتقع على جبل في شرقي غرداية بحيث يمر وادي مزاب من غربه وأول من نزل بها هو أبودحمان وبروبن سليمان،[2]وهي تبعد عن غرداية بـ 600متر فقط[3]

خامسا: نشأة يزقن (أث إسجن)

تأسست عام 720هـ/1321م وكان أصل المدينة (تافيلالت) ولا يزال هذا الإسم يطلق على أول أحياء المدينة في الجزء الأعلى منها[4]، وهي تبعد عن مدينة غرداية بـ 2كيلومتر ويطلق عليها إسم رئيسة الإتحاد المزابي الدينية لأن كل سكانها إباضيون.[5]

وقد إستقبلت هذه المدينة سكان القرى المجاورة المهجورة مثل: ترشين، تلات موسى، أقنوناي بوكياو، أما سكان موركي فقد تفرقوا بين بونورة وبني يزقن وسكان التمزارت قصد بعضهم بني يزقن وبعضهم بونورة والباقي في غرداية حر، ويقول الشيخ أطفيش بخصوص أصل تسميتها بني يزقن: "ففي أعمال قسنطينة قوم يسمون بأولاد يسقن جاءت طائفة منهم فنسبت إليهم.[6]

سادسا: بريان (أت إيبرقان):

تم بناءها في أول القرن 11هـ وهي سبقت القرارة في النشأة[7]، وتعتبر أحدث قرى مزاب وتبعد عن غرداية بـ 218 كيلومتر[8]وهي تقع على جبل منقطع يحيط به جبل المالمنبعة من شرقه وغربه وجنوبه، وتمر ثلاثة أودية من روافد بوادي النسا الكبير من شرقه، وهي أكثر الأودية سيلان في منطقة

[1] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:23.
[2] دوز محمد علي، مرجع سابق، ص:165.
[3] المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، ص:237.
[4] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:23.
[5] المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائرية، ص:106.
[6] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:23.
[7] دبوز محمد علي، مرجع سابق، ص:166.
[8] المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائرية، ص:107.

مزاب لذلك سمي المكان بـ (بريان) لخصبة تربتهولكثرة سيلانه وكان أهل غرداية يقصدونه لرعي أغنامهم.[1]

سابعا: نشأة مدينة القرارة:

تقع مدينة القرارة على بعد 90 كيلومتر في الشمال الشرقي لغرداية وتبعد عن منطقة توقرت بنحو1800 كلم وقد أخذت إسمها هذا من زقرارة من قبيلة زناتة.[2]وهي في ربوة عالية تكتنفها الجبال الجبال من شرقها وشمالها، وكان تاريخ الشروع في بنائها عام 1040 هجرية وقد تم بنائها بواسطة الحجارة الحمراء لهذا كانت تسمى بـ (القصر الأحمر) وكانت مدينة القرارة من أجمل وأهم الواحات المزابية[3]وقد إستقر بها عدة عشائر نذكر منها، المخاليف العطاطشة، ولاد عمر، أولاد أونيس، الحرازالية، أولاد سيدي بلقاسم، هذه العشائر استقرت في القرارة أما بالنسبة للعشائر التي استقرت بالقرب منها، نجد أولاد الشرفة، مغازي، الزناخرة، وكانوا كلهم مالكية و إنضم إليهم أولاد باخة من الإباضيين، وأولاد بالة من ورجلان.[4]

وهذه هي المدن السبع لمزاب التي تعد رمز الحضارة وهذا لتميزها وفنها المعماري.

[1] دبوز محمد علي، مرجع سابق، ص:166.

[2] ناصر ربيعة، أبو اليقضان ودوره الإصلاحي في الحركة الإصلاحية في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص:07.

[3] دبوز محمد علي، مرجع سابق، ص:167.

[4] ناصر ربيعة، مرجع سابق، ص:08.

الفصل الثاني

دور الميزابيين في الجزائر إبان التواجد العثماني

- المبحث الأول : الحياة الاقتصادية والاجتماعية

- المبحث الثاني : الثقافة و العمران

- المبحث الثالث: الدور السياسي لبني مزاب

الفصل الثاني

المبحث الأول: الحياة الاقتصادية والاجتماعية

الحياة الاقتصادية: اهتمت السلطة العثمانية بالجانب الاقتصادي بدرجة كبيرة وذلك لما تملكه الجزائر من خيرات وثروات.

الفلاحة والري :

تعد الفلاحة من أبرز السمات التي امتاز بها بني مزاب حيث أصبحوا يفكرون في هذه الفترة من تاريخهم تذليل الصعاب وتسخير إمكانياتهم المحدودة جدا لتوسيع البقع الخضراء والتي أصبحت بذلك واحات وذلك بفضل ترحابهم بالمهاجرين ويستفيدون من خبرات أولئك القادمين من بلاد مختلفة في المجالات المختلفة لوسائل الحياة ولاسيما في مجال الزراعة الثابتة.[1]

والدليل على ذلك أن النخلة لم تكن موجودة بوادي مزاب إلا بعد نزوح مهاجرين من وادي أريغ وسدراتة إليه استطاع المزابيون أن ينشئوا واحاتهم الاصطناعية على وادي مزاب وعلى روافده واستعانوا على قسوة الطبيعة بعقيدتهم المتينة وسلوكهم المستقيم وصبرهم على شضف العيش، وكدهم المستمر، وتقديس العمل اليدوي.

فقد كانوا ينتهجون نظام التقشف في حياتهم اليومية ويطبقون مبدأ الاكتفاء الذاتي، وظلت النخلة محور اقتصادهم، منها يتقوتون وبعناصرها يتخذون سقوف بيوتهم، ويصنعون أثاثهم وأوانيهم وفي ظلالها يستريحون من تعب الكد وحرارة الطقس، وتحتها يزرعون بعض البقول والفواكه، إلا أن ذلك لم يكن بالأمر الهين فالأراضي الصالحة للزراعة كانت ضيقة، والرياح الموسمية لم تكن لتسهل مهنة الفلاح وفوق كل ذلك مشكل ندرة المياه.

[1] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:37.

إن الأمطار لا تنزل بصفة منتظمة، فقد تتعاقب السنين ولا تجود السماء بقطرة ماء، وقد تنهمر الأمطار كالطوفان في دقائق معدودة، فتحمل الأودية بغزارة وتجرف معها التربة الصالحة والأشجار والمحاصيل.[1]

انكب بني مزاب لإحياء واديهم مع حفر الآبار، بعزيمتهم الصادقة، وصبرهم الدؤوب، فحفروا نحو ثلاثة آلاف بئر تتجاوز عمق الكثير منها ثمانين مترا وأحدثوا هذه الآبار حدائق النخيل بتجاوز عدده مائتي ألف نخلة.[2]

أقام أهل غرداية (وادي مزاب) وروافده سدودا مختلفة لحجز سيول وإعطاء التربة الوقت الكافي لامتصاص الماء وتزويد طبقة المياه الجوفية التي تمد الآبار أما سد العطف فيقع على بعد ثلاثة كيلومترات من جنوب لمدينة، على وادي مزاب ارتفاعه ثلاثة أمتار وطوله خمسمائة متر، يزيد سمكه في بعض الأماكن عن عشرة أمتار، ويقال إنه أول سد بمزاب.

جنوب بونورة أقيم على وادي مزاب سد ارتفاعه أربعة أمتار وطوله مائة وخمسون مترا بالإضافة إلى سد آخر على نفس الوادي وسدود صغيرة على وادي ازويل "وقد أقام أهل غرداية تزوز ثلاثة سدود ومثلها مع وادي مزاب هي سالم أو عيسى أو سد أشور وسد البنت والسد الجديد الذي بني عام1897م سمك قاعدته ثمانية أمتار.[3]

في القرن الخامس عشر ميلادي أرغم أهل مليكة وبونورة سكان غرداية على تخفيض مستوى إرتفاع أحد سدودهم المقامة على وادي مزاب بذراع ونصف، كي لا يحرموا كليا من مياهه، وفي سنة 1073هـ/ 1662م أصدرت جماعة غرداية قرار يمنع إحداث واحة جديدة في الشمال الغربي لواحة غرداية وذلك حماية لها من البور.

---

[1] حمو عيسى النوري، مرجع سابق، ج1، ص:68.

[2] بلغراد محمد،لمحات من تاريخ الدولة الرستمية،الأصالة، العدد 41، 1397هـ/1997م، ص:48.

[3] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:38.

أما السد الكبير الذي أقامه بنو يزقن على وادي أنتيسا، فطوله نحو ستمائة متر و إرتفاعه ثمانية أمتار وعرض قاعدته ستة أمتار هناك على نفس الوادي سد آخر دون الأول بكثير.

من جهة أخرى فقد بنى مزاب قنوات موازية للأودية تجلب الماء من أعالي الواحة لتوزعه على الأجنة التي لا تستفيد مباشرة من السيول، بصفة طبيعية بحكم ارتفاعها.

توزع مياه القنوات توزيعا عادلا بكميات متناسبة مع مساحة البستان وعدد نخيله.1

فعن تقسيم المياه في واحة العطف نجد الشيخ عبد الرحمان للأودية تجلب الماء من أعالي العطف فتقسم ماء (ضاحية مزاب) بنسب إلى الشيخ بابا دادي من عشيرة أولاد حريز فيها.

وفي بونورة يتم تقسيم مياه وادي ازويل مع الأجنة بواسطة ساقيتين الشرقية والغربية.

وعن غرداية يذكر الشيخ عبد الرحمن باكلي أن مجدد تقسيم المياه لها هو الشيخ حمو أو الحاج، أحد شيوخ غرداية القدامى المتوفي سنة 1102م وقيل 1129هـ -1717م ويقول الشيخ طلاي ابراهيم إن تقسيم مياه بوشين بغرداية تم سنة 1707م.

في واحة غرداية تنطلق من وادي مزاب ساقية رئيسة تسمى ساقية بوشمجان، ثم تتجزأ إلى ثلاثة سواقي فرعية هي ساقية حمو وعيسى وساقية الشعبة وساقية بانوح مرزوق.

ساقية حمو وعيسى تنطلق منها مائة وعشرون كوة، عرض كل واحد منها خمسة وثلاثون سنتيمترا، ارتفاع الأولى سبعة سنتيمترات والثانية ثمانية، وهكذا يتزايد الارتفاع من كوة إلى التي بعدها.

أما ساقية الشعبة فإنها تمون أربعا وثمانون كوة ذات أربعين سنتيمترا عرضه، كما نجد ذلك في ساقية بانوح مرزوق التي تمون مائة وعشر كوات ذات خمسة وثلاثين سنتيمترا عرض. وعن بني يزقن

[1] موهوبي عبد القادر السائحي، المرجع السابق، ص.ص:29،30.

يقول الشيخ باكلي "فقد قسم ماء شعبة مومو القبلية للبلدة الشيخ بالحاج بن محمد.[1]

وعن الشيخ حمو عيسى النوري ننقل، إن الشيخ الحاج سعيد هو الذي خطط بمفرده تقسيم مياه المطر غرب أنتيسا، كما أقر تقسيم مياه شعبة مومو.

وفي واحة بني يزقن نجد أربع سواقي تأخذ مياهها من وادي انتيستا، وهي تاغريت (الغربية) وساقية الزقاق والساقية الوسطى وساقية بوشمجان أما تاغريت ففيها ستة وأربعون كوة ذات خمسة عشر سنتيمترا عرضا.[2]

واحة مليكة وواحة القوارة هما الوحيدتان اللتان لا تملكان سواقي عمومية لتوزيع مياه السيل.

وهذا النظام المحكم وهذه التجهيزات الثمينة هي بحاجة إلى مراقبة وصيانة، أما المراقبة فيقوم بها أمناء.

ينص اتفاق مجلس وادي مزاب في شوال 1052هـ/ 1642م ومن تعدي بزيادة الماء في الغابة أي السيل لغابته زيادة عن القياس الموجب له، فغرامته خمسة وعشرون ريالا والنفيان ولذلك دخل الواحات مثل مزاب ومتليلي وبريان والقوارة والمنيعة والعمدة في الفلاحة هي النخيل بكل أنواعها وبعض الزراعات الموسمية، وللنخيل تأثير كبير في الحياة فهي المصدر الأساسي للتموين بالتمور كما أنها مصدر الأخشاب والصناعات التقليدية، ويقوم الري أساسا مع مياه الآبار الجوفية والسدود المحلية على الوديان ونادرا على غيث السماء.[3]

[1] العوامر إبراهيم محمد السياسي، المرجع السابق ،ص: 35.

[2] بن عيسى عمر، مذكرات ووثائق عن مزاب، م ط، النهضة بتونس، 1951م، ص:73.

[3] حمو عيسى النوري، مرجع سابق، ص:69.

وفي هذا الصدد تقول الآنسة قوشون "في المجتمع المزابي لا يقتصر على العمل اليدوي على الفقراء والجهلاء بل المزابيين وحتى مشائخهم يتعاطونه ويشرفونه والذي لا يمكن أن يعيش بعرق جبين يتلقى مساعدات من عائلته وعشيرته في أي حال من الأحوال لا يقبل من المزابي أن يتكفف.

وإلى جانب الفلاحة هناك من يقوم بصناعات خاصة مثل الجبس التي كانت تحتكرها العائلات المعتزلة بالعطف، وصناعة الخزف والجبس التي كانت من نصيب ولاد فخار في أعزام أنواداي لمليكة، وقد أتوا بها من المدية.

الصناعة:

من الصناعات السائدة بمزاب صناعة مواد البناء من جير وجبس فكانت تصنع لها أفران مبنية من حجارة وطين أحمر مستديرة الشكل، وصناعة تسوية أخشاب النخيل للتسقيف، وخشب بعض الأشجار لصنع بكرات النفخ وحاملاتها وأدوات النسيج وأواني المطبخ.[1]

يتخذ المزابيون من جذوع نخيلهم عوارض للتسقيف وأخشاب لصنع الأبواب، ومكاييل للتجارة ومهاريس لطحن الحبوب، وأواني مختلفة ويتخذون من جذوعها ستائر وسقوفا ويصنع من أوراقها وأليافها حصائر وحبال وأتفان وأطباق وكسكاسات ودلاء ومظلات ومراوح.

ومن أهم الصناعات دباغة الجلود لصناعة و الدلاء،و الفخار لصناعة الأكواب والأباريق والقلل والخابيات، يصنع كل ذلك من طين خاص ثم يوضع في أفران خاصة به هذه الصناعات وجدت بكل من مليكة وكانت تنتج فخارا عاديا وفخارا مطليا يصنع من الفخار العادي.[2] وقد تعدد الصناعات منها صناعة المكاييل، الأكواب، أواني السوائل وغيرها.

[1] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص.ص:42،43.

[2] عبد الله نوح، النظم التقليدية لوادي مزاب، في الإدارة والمالية، ماجستير جامعة الجزائر، 1994م، ص: 97.

التجارة

كانت تتم في سوق البلدة، حيث يتبادل أهلها مع قوافل البدو منتوجاتهم، فكان الأولون يقدمون المنسوجات التي صنعتها أيدي المزابيات والفائض من محصول التمور، مقابل الصوف والسمن وغير ذلك من خيرات البادية، ويظهر من هنا أن اقتصاد المنطقة كان يتعاون مع حملة من كلا الجنسين، فبينما يظل الرجل في بستانه مكبدا لقساوة الطبيعة وصد غارات البدو، كانت المرأة في منزلها تغزل وتنسج، علاوة على قيامها بشؤون البيت المعروفة.[1]

ما تنسجه المرأة المزابية على نوعين: الفرش والألبسة أما الفرش ما يسمى بزربية في بني يزقن واما الألبسة فمنها (تاجريت) والغندورة المزابية والشال المطروز.

كان الإنتاج السنوي في مزاب من الملابس الصوفية يقدر بسبعين ألف قطعة وكان آنذاك حوالي سبعة آلاف امرأة تشتغل في الساحة بالبيت وكان يدخل إلى مزاب سنويا ثلاثون ألف جزة صوف.

وقد نشطت حركة التجارة في المنطقة بعد تحويل طريق القوافل إليها وذلك بعد خراب سدراتة سنة 1247م وخراب تمنطيط بتوات نتيجة إجلاء اليهود عنها بجهود الشيخ عبد الكريم المغيلي سنة 1492م فصارت مزاب مكان التبادل للسلع وتسير القوافل نحو الشمال والجنوب، وقد اشتهروا بالتجارة نحو الشمال.

سافر بنو مزاب إلى الجزائر العاصمة ومدن التل الأخرى وكانت السلع التي تسوق شمالا هي التمور والبارود والذهب والصوف وسلع السودان الغربي.[2] إن القوافل التجارية لم تلبث أن حولت مسالكها فأصبح مزاب محطة لها وهمزة وصل بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب، كانت

[1] حمو عيسى النوري، دور المزابيين، ج1، ص.ص:288،291.

[2] معمر علي يحي، الإباضية بالجزائر، مرجع سابق، ص:172.

القوافل المارة على غرداية تحمل إلى الشمال التمور والبلح والعاج والذهب والجلود والأقمشة وريش النعام وإلى الجنوب الحبوب والزيت والسكر والنحاس ومنتوجات مصنوعة إلى التل وأوروبا.

ظلت غرداية مرحلة في التبادل بين التل والسودان، كما كانت مرحلة في التبادل التجاري بين قرارة وتوات غربا ومنطقة وارجلان شرقا.[1]

بهذا نصل إلى القول بأن التجارة ليست سبب إنشاء مدن وادي مزاب، لكنها ساهمت في تنميتها اقتصاديا واجتماعيا.

مع تبلور دور قوافل التجارة والتي كانت للبدو الدور الأساسي فيها والتي جابت الصحراء ونقلت خيراتها، تطور المدن في الصحراء وتجذب اهتمام الرحالة الجغرافيين القدامى أمثال ابن سعيد، والبكري، الإدريسي، وبالتالي تتموقع هذه المدن والقصور على محاور الاتصال شمالا جنوبا شرقا، غربا، تبرز أهميتها التاريخية منذ حوالي القرن العاشر، حتى القرن التاسع عشر، كمحطات لربط القوافل التجارية مما يفسر المسافات بينها والتي تدل على مراحل مسيرة القوافل كما كان للصراعات المذهبية التي وقعت في تاريخ الصحراء والتي لها دور كبير في السيطرة على هذه المحاور التجارية وتوحيدها.[2]

يبدو أن تزايد السكان وضعف مردود الفلاحة أجبر بني مزاب على التفكير في مصادر أخرى للعيش يضمنون بها بقاءهم في المنطقة، فأخذوا في الاغتراب إلى مدن التل قصد التجارة، لم نعثر على تاريخ بداية هذا الاغتراب، إلا أن المؤرخين يذكرون أنه كان يوجد لمدينة الجزائر مزابيون في بداية القرن الرابع عشر ميلادي.

[1] حمو عيسى النوري،المرجع السابق،ص :.291

[2] بن بكير يوسف الحاج سعيد، المرجع السابق، ص.ص:66،67

إن الفلاحة لا تضمن للمزابي الذي يقتصر نشاطه عليها مستوى معيشيا مقبولا مثل مشكل الري وإنهاك التربة يفرضان حدا للمساحة المزروعة ومردودها، هذه الظروف جعلت من الواحات بؤرا للاغتراب.[1]

وقد كان بنوا مزاب يشكلون جماعة في العاصمة ولهم أمين عام لهم ثقة عن الحكام وكان لتفاني التجار أثر في تبييض صورتهم لدى الحكام الأتراك الذين كانوا ربما اقترضوا من صندوق الجماعة (وقد دفع هذا إلى الاعتقاد أن الأمين بن مزاب أكثر غنى وثروته من باي التيطري وقائد سباو).[2]

وكان الشعانبة محسوبون على جماعة بني مزاب من حيث إشرافهم على حماية الخطوط التجارية للقوافل وقد كان الأتراك يعهدون لهم بحماية الطرق التجارية الجنوبية للشدة والفروسية التي اشتهروا بها.

وقد شكل سكان وادي مزاب إباضية ومالكية حلفا تجاريا موحدا في مؤتمر باب الواد عام1642م، والذي تقرر فيه انضمام الطرفين وتعاونهما في التجارة والأسفار وصد الهجومات.[3]

أما تجارة القوافل جنوبا نحو السودان الغربي، وشرقا نحو غدماس وواحات فزان، وغربا نحو واحات توات والساورة.

كان أهل غرداية يكثر ذهابهم إلى قسنطينة وسطيف وغليزان، وأهل بني يزقن إلى قسنطينة وقالمة وسوق أهراس والبليدة، وأهل العطف إلى الجزائر وقسنطينة، وأهل بونورة إلى الجزائر وتيارت، وأهل مليكة إلى الجزائر وباتنة وخنشلة وسور وبوغار، وأهل بريان إلى الجزائر وقسنطينة وأهل القوارة إلى العلمة وباتنة وخنشلة وكان بعض المزابيين يقصد تونس وليبيا وحتى الاسكندرية.

[1] حمو عيسى النوري، ، مرجع سابق، ص:70.
[2] سعيدوني ناصر الدين، مرجع سابق، ص:100.
[3] حمو عيسى، المرجع السابق، ص:73.

أما عن أهل العطف كانت تجارتهم في اللحوم والبقول، وأهل غرداية وبني يزقن في الأقمشة والألبسة، وأهل بونورة في الفحم والخشب والزيت وأهل مليكة في الحبوب والتمور والحمامات أما أهل بريان والقرارة فتجارتهم كانت متنوعة.

إن انتقال بني مزاب بين الجنوب والشمال قصد التجارة لم يكن شيئا مضمونا ميسورا فقد كانت قوافلهم تتعرض في الطريق لغارات النهب والسلب من طرف قطاع الطرق، لذلك فأنك تجدهم لا يغامرون بالسفر إلا في قافلات ذات حجم كبير وكانوا يدفعون للبدو غرامات.[1]

كانت قرى مزاب تدفع غرامات للأرباع ومخاليف الحرب وسعيد وعتبة وعندها لحماية قوافلهم الذاهبة إلى التل.

يقول الشيخ حمو عيسى هذا الوضع من الفوضى والاضطراب وقلة الأمن في الطريق حمل المزابيين على عقد تحالف دفاعي وتعاوني مع بعض الأعراش من المخاليف والأرباع وأولاد نايل لحماية القوافل والأموال من قطاع الطرق ومن النهب والسلب فيما بين الصحراء والتل.

وفي 1050هـ / 1640م عقدت جماعة كبيرة من التجار قصر البخاري والمدية والبليدة والجزائر سافر رفقة مع ثلاثين من غير المزابين، أكثرهم من الشعانبة وفيهم بعض المخادمة وبعض من المذابيح، وبعد نحو مرحلتين من ناحية الجلفة التقوا بجيش فوجه أمر إلى المزابيين فقاموا بدفع ثلاثمائة ريال وأنواع من السلعة عينوها بجيش، فأراد الجيش أن يهاجم فانحاز الشعانبة ومن معهم من المخادمة بالمذابيح إلى المزابيين، فوقعت معركة انجلت بأحد عشر قتيلا، ففر الجيش وترك قتلاه، فدفنهم الغالبون.[2]

[1] سعيدوني ناصر الدين، مرجع سابق، ص:102.

[2] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص ص:47،48.

– إثر ذلك عقد التجار المزابيون في 1052هـ /1642م مؤتمر بالجزائر بالوادي وقرروا فيه ضم المالكية بمزاب إلى مجموعة الإباضية التجار بالجزائر في اجتماعاتهم.

– الإذن لهم بدفن أمواتهم معهم في مقبرة سيدي بونور.

– عقد اتفاق سفر معهم من مزاب إلى الجزائر، ومن الجزائر إلى مزاب.

– التعاون من الطرفين في جميع المهمات.

– التحالف ضد كل عدو محارب الجزائر ويهاجمها.[1]

– التحالف مع كل ما تحتاج إليه مزاب مما يرتبط بالجزائر سياسيا أو اقتصاديا.

الحياة الاجتماعية

امتازت الحياة الاجتماعية بالتمايز حسب الموقع من العمران والبدواة فقد حافظت القبائل البدوية على خصائصها المتوارثة، وكان الجديد في حياتها هو حالة الشد والجذب بين الحواضر والبادية في البداية، ثم تغير الأمر مع بروز حالة مستقرة قائمة على التعاون وتبادل المنافع، كما سوف يتضح مما يأتي:

فبالنسبة للقبائل البدوية (السلمية والهلالية) فإنه يمكن أن ترسم المظاهر الاجتماعية العامة للبداوة فيما يلي:

السلوكات التي امتاز بها بني مزاب

يعد السلوك الذي يستمر على التغير والتنقل من جيل إلى جيل وهي سلوكـات متقاربة بين

[1] القرادي الشيخ، رسالة في بعض أعراض وعادات وادي مزاب، تح ، بن يهون، نشر جمعية النهضة، العطف، ط1، 2009م، ص:54.

كل البدو في الجزائر فيمكن إجمال السلوكات الإيجابية في الجود والشجاعة والأنفة وحفظ العهد.[1]

أما السلوكات السلبية فيمكن إجمالها بالأنفة والحمية المبالغ فيها والتي تورث الفوضى والثأر والرغبة و الانعتاق من القيود التي تفرضها الأنظمة مثل الضرائب والمكوس، وكذلك شيوع تقاليد الغزو والصراع على المياه والمراعي والرغبة في بسط السيطرة على الآخرين.

كما أن أغلب السلوكات الاجتماعية محكومة بالعرف المتوارث وليس بالقانون لأن القبائل البدوية ترخص الخضوع للقوانين والدول لأن ذلك مناف للعزة المعتزة بالحرية في التنقل بالحركة والفعل ولهذا فإن الغالب في وضع الفرد في هاته القبائل أن يكون موروثا أكثر منه مكتسبا.

كما تمتاز الحياة الاجتماعية بالديمقراطية المتمثلة في الحرية في نقد السلوكات السياسية والعسكرية لقيادة القبيلة، وسوف يكون لهذه الخاصية أثر كبير في مشكلة الزعامة عند الشعانبة في حروب المقاومة للاستعمار.[2]

الزعامة في الشعانبة وراثية في الغالب، ولكن بشرط توافق جماعة الكبار على الترشح وقد تؤول الزعامة إلى قائد عسكري يعين مجلس القبيلة في وقت الحرب وحين ذاك تبرز موهبة القيادة في تحقيق النصر فيتولى مشيخة القبيلة.[3]

لكن هذا لا يحدث إلا وفي حالة الاضطراب العام أو في أوقات الشدة حيث أن نظام القبيلة الديمقراطي لا يسمح بالجمع بين المسؤوليات السياسية والمهام العسكرية.

[1] بوشلاغم الزبير، الثورة وقضايا أخرى بناحية غرداية، مجلة أول نوفمبر، ع 127، افريل 1977م، ص:12.
[2] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:37.
[3] حمو عيسى النوري، مرجع سابق، ص:74.

تمتاز الحياة الاجتماعية للبدو بالرتابة، فتقاليد الأمور بيد شيخ القبيلة الذي يعاونه مجلس الكبار وتدير قضايا السلم والحرب، فهو القاضي والمفاوض والموقع للاتفاقيات والعهود والتحالفات، وهو الساهر على تطبيق أعراف القبيلة في الزواج والطلاق والديات والخطايا.[1]

كما أن هذه الحياة تمتاز بصلابة العلاقات الاجتماعية داخل القبيلة نتيجة التزاوج والمصاهرة والمشاركة في منافع المياه والمراعي والاشتراك في قوافل التجارة وكذا في عمليات الغزو، للقبائل المعادية.

أما بالنسبة للحضر، فإنه على العكس من ذلك امتازت حياتهم بأنظمة تقليدية خاصة، فالمزابيون يتولى تنظيم شؤون عشائرهم رئيس العشيرة يسمى الضامن ومجموعات رؤساء العشائر يكونون مجلس الجماعة الذي ينتخب رئيسا يسمى برئيس العرش، ومع استقلالية كل عشيرة في تسيير شؤونها الداخلية فإن مجلس الضمان يشتغل بالأمور العادية للبلدة ويصدر القرارات ويشرف على حفظ الأمن وحراسة البلد، وللمجلس ميزانية يجمعها من مختلف العشائر ويصرفها في أشغال بناء المنشآت العمومية وصيانتها، ومنها تقاسم المياه والسدود.[2]

أما القضايا الدينية كالإشراف على المساجد والتعليم القرآني والديني وتنظيم الاحتفالات الدينية والاجتماعية كالأفراح والمآتم، فإن ذلك يخضع لسلطة حلقة العزابة المكونة من كبار الفقهاء والمعلمين وقرارات الحلقة نافذة على كل فرد وإلا كان في براءة وهجرة المسلمين حتى يتوب ويعود إلى الالتزام العام بنظام الجماعة.

[1] ابن خلدون، مرجع سابق، ص:119.

[2] طلاي إبراهيم محمد، مزاب بلاد الكفاح، دراسة اجتماعية تاريخية، مط، دار البعث قسنطينة، الجزائر، 1970م، ص:98.

والقضايا الاجتماعية تنظمها الجماعة حسب الظروف والسلطة النهائية هي لمجلس عمي سعيد وهو المجلس الأعلى للهيئات الدينية الإباضية، وتقوم حلق العزابة ومجلس الضمان بتنفيذ ومراقبة قرارات المجلس السالف الذكر.[1]

أما المالكية الحضر فقد كانت لهم تنظيمات حضرية متشابهة، تتمثل في مجالس الأعيان الذين يقومون بتصريف شؤون التجمعات الناشئة حفل المزابية مثل تجمعات بن مرزوق و المذابيح، وكذا شعانبة مليكة.

أما الشعانبة الحضر بقصر متليلي فقد كان لهم مجلس يسمى بمجلس العشيرة، وينتمي إليه مندوبون من أغلب القبائل، ويعود إليه تنظيم قضايا قصر متليلي وسوقها ويكون من وكيل مكلف بحفظ أموال البدو، وكذا ضامن الأمن لتجار القوافل العابرة، وكانت قراراته تنشر في فصل الخريف عندما تحط القبائل رحالها بالوادي والمدينة لجني ثمار وتبادل السلعة وإقامة الحفلات والأعراس وتجديد التحالف وإصلاح ذات البين وقد آل عمل هذا المجلس إلى العمل في سرية تامة.[2]

كما أنه يجب أن نشير إلى عدم ثبات واستقرار الأحوال الاجتماعية لسكان المدن والبوادي نتيجة للفراغ السياسي الحاصل حيث كانت تبعية مزاب للدولة الجزائرية إسمية فقط، وفي فترات كانت تدفع الضرائب للدولة، وأما القبائل البدوية فلم تكن عليها سلطة مطلقة، وإن عملت بعض قبائل الشعانبة مع قوات المخزن التابعة لسلطة البايليك التركية.

هذا الفراغ السياسي جعل المنطقة تعيش عدة مشاكل وفتن طوال أربعة قرون وحتى إلى فترة الدخول الفرنسي بين الضفتين الشرقية والغربية للمزابيين، وكذلك الصراعات التي لا تنتهي بين القبائل الهلالية والسلمية وبين هاتين الأخيرتين والطوارق من جهة أخرى.

---

[1] بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش،و،ن،ت، الجزائر، 1970م، ص: 55.

[2] إتفاقيات المجالس العامة، واد مزاب (1405هـ/1928م)، من أرشيف مزاب القديم بعمارة عيسى، دار الشهاب، باتنة، 1990م ص:24.

وكثيرا ما تتسبب هذه الفتن في القرى المزابية وكذا في المناطق البدوية في حصول مآس وتناقص في الحركة الاقتصادية، ويمكن العودة إلى جملة أسباب.[1]

1. الفراغ السياسي الذي تمثله سلطة مادية لها أدوات الفعل الرقابي والجزائي كالجيوش والشرطة والسجون.

2. الفراغ الثقافي الذي كان مهيمنا على كل الجزائر في العهد التركي.

3. العصبية العشائرية التي تعد لها مبدأ الأخذ بالثأر والاحتفاظ بالشرف والنصرة للقريب وابن العم.

4. العصبية الدينية يبين المذهبين الإباضي والمالكي وغياب الحوار والقبول بالمخالف والاتفاق على مواريث عصر الفتن المذهبية المليئة بالفتاوى المتشددة القائمة على ثقافة التظليل والتبليغ والبراءة والخروج من السنة.

5. العصبية العرقية بين الجنسين العربي والبربري (زناتة، الطوارق) وكان لهذه الفتن الداخلية دور في كثير من القضايا المتعلقة بتاريخ بني مزاب.

يمتاز المجتمع المزابي كغيره من المجتمعات البربرية بصفة الديمقراطية الملازمة بحيث تستقل كل بلدة بشؤونها الخاصة، وتديرها جماعة الضمان المنتخبين ضمن عشائرهم كما بينا.

وبما أنه لم يكن هدفهم يوما التوسع على حساب غيرهم، فإنهم لم يحتاجوا إلى قادة عسكرية محترفين لا يشكلون جيشا إلا للدفاع عن أنفسهم أو لنجدة إخوانهم.[2]

إن أهم ما جعل الشعب المزابي الأصيل يظهر أمام باقي الشعوب هو تلك المجموعة من المميزات التي لا يمتلكها سواه، ومنها يضع الخصائص الرئيسية التي يدافع المزابيون عنها بكل ما أوتوا من قوة

[1] بن عميرة محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م، ص:88.
[2] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:50.

ضد تيارات العرب المفسدة، ومن مظاهر تمسك المزابيون بأصالتهم اللبس التقليدي، والذي يواضب المزابيون على ارتداءه إلى يومنا هذا سواء في المناسبات أو غيرها وعادة ما يعتبر من لم يلتزم بهذا اللباس في مزاب عربيا وشاذا عن المزابيين ولو كان مزابيا.

وهذا الالتزام إن دل على شيء فإنما يدل على الروح المزابية الإسلامية الأصيلة التي تأتي إلى المحافظة على الأصالة العريقة والوحدة والأخوة التي يلتزم بها المزابيون، إذ أن إرتداء جميع المزابيين لباس واحد بحيث لا يتميز غنيهم عن فقيرهم يدل على روح الأخوة والوحدة وأنهم طبقوا حقا قول الله تعالى: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا" ويدل على أنهم رفضوا تماما التيارات الغربية.[1]

أما النساء فهن يرتدين جميعا لباسا موحدا عبارة عن قطعة قماش كبيرة تلفها المرأة حول جسدها كله، بحيث لا يظهر منها شيء ولا يترك إلا فتحة صغيرة حول العين لترى بها في صورة مميزة لتطبيق التعاليم الإسلامية، إن فرض اللباس الشرعي المحتشم على النساء جمود وجفاف بشيء من المزابين إنما هو إتباع لتعاليم الدين الحنيف.

العادات والتقاليد

تتميز العادات والتقاليد لبني مزاب بالاعتدال فهي لا متشددة جامدة ولا هي فاسقة متأثرة بالفساد والغربيين، داخل هذا المجتمع المتماسك لا يمكن رؤية أي متسول أو لصوص، والآفات الاجتماعية تكاد تكون منعدمة، فهو مجتمع يتسم بالتآزر والتآخي والمحافظة على الدين والتعاون، وبقاؤه محافظا يعود إلى وجود "حلقة العزابة" التي تمثل السلطة الروحية لكل قصر من قصور غرداية، إذ تتدخل هذه الحلقة في جميع الأمور الدينية والاقتصادية والاجتماعية وتعنى بالمباني الدينية من مساجد ومصليات ومقابر ومدارس. ويكون المسجد هو مكان اجتماعهم.

[1] بن عميرة، مرجع سابق، ص:89.

تقوم حلقة العزابة أيضا بتحديد المهور، ويوضح بلحاج أنه "يحظر 3 أعضاء من حلقة العزابة كل حفل خطبة في القصر ويحرصون على عدم وجود تجاوزات في أسعار المهور كما يسهرون على تنظيم حفل الزفاف الذي تخصص له قاعة في كل قصر من قصور غرداية." وفي موازاة حلقة العزابة مجلس آخر يعنى بالشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ويسمى مجلس الأعيان لكن لا يمكنه التدخل في الأمور الدينية، ويتكون من أعضاء ممثلين من حلقة العزابة وممثلي العشائر.

كما أن لبني مزاب مركزان مميزان هما المسجد والسوق، فالمسجد هو مركز الحياة الروحية ويتكامل مع السوق، التي تمثل مركز الحياة الاقتصادية والنشاط الدنيوي، ويقول بن عشتار توفيق أحمد المزابيين لوصفه 22 من المساجد عندنا تسمى دار العرش، فيها غرفة مخصصة للرجال وأخرى مخصصة للنساء[1].

اللباس:

يتكون اللباس المزابي التقليدي من سروال مترابط غير موصول على الرجلين وهو منتشر في بلادي مصر والشام، وطاقية بيضاء، تطبيقا لسنة الرسول الله صل الله عليه وسلم في تغطية الرأس وهناك أيضا القميص المزابي المعروف (تاجربيت) وقد تقلص استعماله إلى المناسبات يكون سروالا أبيضا في المناسبات والأعياد وأوقات الصلاة والاجتماعات أما في أوقات العمل فيرتدي المزابي سروالا ملونا محافظا على النظافة ولا ينزعون الطاقية.

في أوقات الصلاة يرتدي المزابيون اللباس السابق ذكره ويرتدون فوقه جبة بيضاء تعبر أخرى على إتحاد المزابيين، ولا يدخل مزابي إلى المسجد عادة دون جبة بيضاء.

[1] – مقري سامية، التعليم عند الاباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزاية، رسالة ماجيستر بتاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص71.

الاعراس:

تقام أعراس بني مزاب بين أفراد العشيرة وتتسم أعراس المزابيين بأنها خالية تماما من الاختلاط بين النساء والرجال وأنها خالية من اللهو الماجن الذي تتصف به الكثير من الأعراس في العالم الإسلامي للأسف، كما أن أعراس المزابيين تكون جماعية دائما ولا تكون فردية أبدا وهذا لرفع الحرج على الفقراء من العرسان في تحمل مشقة نفقات العرس.

المبحث الثاني: الثقافة والعمران

إن الحياة العلمية في وادي مزاب لها جوانب مرموقة عبر التاريخ، لا يمكن إستعابها ولا التحدث عنها بإسهال لأن ذلك يخرجنا عن نطاق موضوع التاريخ.

الحياة الثقافية

كانت الحياة الثقافية نشطة في الحواضر في المدارس والجوامع الإباضية التي اهتمت بتعزيز مكانة المذهب الإباضي والحفاظ على التراث الفكري للدولة الرستمية وكذا تراث حلقة العزابة.

وكان للعلوم الدينية النصيب الأكبر في الدراسة، حيث طغت علوم العقائد والفقه على غيرهم بحكم الحاجة المذهبية لكلا المذهبين المالكي والإباضي، وكانت هناك بعض المناظرات والردود العلمية في تصويب أحد المذهبين وتخطئة الآخر.[1]

وقد نشأ تواصل شديد لكلا المذهبين مع المدارس العتيقة، فقد كان الخط العلمي بين إباضية مزاب وورجلان يدل على استقدام الشيخ عمي سعيد بن علي بن جربة سنة 1450م بغرض نشر الجو العلمي بمزاب وإليه عادت نسبة المجلس الأعلى لوادي مزاب.

وقد برز علماء مقتدرون عند الإباضة أمثال الشيخ أبي يعقوب يوسف بن محمد المصعبي وضياء الدين عبد العزيز التبسي صاحب كتاب النيل الشهير في الفقه الإباضي وكذا القطب الشيخ محمد إبن الحاج يوسف أطفيش.[2]

أما المالكية فكان لهم تواصل مع حواضر توات وفاس المغربية، وكثير ما قدم علماء من هناك للقيام بشؤون الإمامة والتدريس كما حصل على جد الأشراف في متليلي مولاي سليمان بن عبد الله وكان العكوف على المختصرات الفقهية والعقيدية هو السائد في الدرس العلمي وكالغالب على

[1] السماوي صالح بن عمر، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب، ج1، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 2005م، ص:61.
[2] معمر علي يحي، ج1، مرجع سابق، ص:175.

المدارس المالكية المتأخرة فقد كان لمؤلفات إبن أبي القيرواني وخليل بن إسحاق وابن عاشر وعقائد السنوسي حضور في الحواضر الملكية في غرداية ومتليلي وفي مقابل هذا انشغلت الحياة الأدبية في البوادي وبرز شعراء مقتدرون يدافعون عن أمجاد قبائلهم يتفنون بأفضال البادية أو الحاضرة.

وقد استمر تمسك هذا المجتمع بجملة من المؤسسات التنظيمية هي:

حلقة العزابة

هي هيئة علمية نشأت في البداية على يد الإمام محمد أبي بكر بن يوسف الفرسطائي (345،440هـ) وكان ذات قوانين وأنظمة منضبطة يتم داخلها الحصول عن نسب الدين عند الإباضية، ثم تطورت فصارت هيئة تدبر شؤون المجتمع الديني والأخلاقية والثقافية والسياسية، ومنها يزكي الإمام والقاضي والمفتي، وقراراتها ملزمة بكل أفراد المجتمع، والمتمردة عنها في حكم البراءة من المسلمين الموحدين.

أما الإباضية وكأنها تمثل إمامة سياسية مصغرة بديلة عن الإمام الشرعي في حالة الكتمان عن الإباضية.

تأسيس العزابة أو الحلقة:

كلمة العزابة مشتقة من العزوب، عزب الشيء عنه بعد وغاب وخفي، والمقصود به هنا العزلة والتصوف والانقطاع إلى العبادة والانقطاع إلى خدمة المصلحة العامة.[1]

العزابة هي هيئة محدودة العدد تمثل خيرة أهل البلد علما وصلاحا، هذه الهيئة تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية كونها تعتبر الهيئة العليا في البلد على الإطلاق والهيئة الشرعية الحاكمة القائمة مقام الإمامة العظمى والسلطة

[1] العيسى حنان، الشيخ إسحاق إبراهيم أطفيش والقضايا الجزائرية، 1344هـ-1350هـ/ 1925م-1931م، المناهج، جامعة الوادي، 2013-2014، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، ص:11.

المطلقة في كل ما يتعلق بالدين والسياسة من دون أن تستمد ذلك النفوذ من قوة مادية أو قوة زاجرة وتصدر أوامرها حسب كتاب الله والسنة وأقوال المجتهدين في مذهب عبد الله ابن إباض.[1]

ومجلس العزابة يتركب غالبا من اثني عشر عضوا له حق اختيار أعضائها دون مداخلة لمن عداه في ذلك أن يختار من كل عشيرة في المدينة قدر ما يحتاجه.

ودفاعا عن الحاجة المادية فإن الذي ينظم إلى حلقة العزابة يتطلب فيه أن يكون صاحب عمل أو حرفة فأعضاء العزابة كلهم يكسبون قوتهم من كد جبينهم واعتمادهم على أنفسهم في كسب القوت يضفي على مهمتهم الدينية صفة النزاهة والقناعة والتعفف وإخلاص العمل لله وحده، كما أن انشغالهم يجعلهم داخل الحياة الاجتماعية.[2]

شروط الانضمام إلى الحلقة: هذا منقول عن الشيخ أبي عمار عبد الكافي أنه لا يدخل أحد الحلقة حتى يكون فيه أربع خصال:

- أنه أن يكون كسيا أديبا.
- أن لا يكثر دخول الأسواق.
- أن يكون مستمرا في طلب العلم.
- يغسل جسده بالماء ويغسل قلبه بماء وسدر.[3]

أما الجسد فيغسله من دنس الناس فأما القلب فيغسله من الغش والكبر.

[1] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:29.

[2] حمو عيسى النوري، مرجع سابق، ص:155.

[3] الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، ، 670هـ/1271م، طبقات مشائخ المغرب، تح، إبراهيم طلاي، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزء الأول، ص.ص:105،106.

صفات أهل الحلقة: فينقسم على أربعة أقسام:

القسم الأول: يجتهد في طلب العلم والأدب.

القسم الثاني: أن يكون حافظا للقرآن الكريم.

القسم الثالث: أن يكون مجتهدا في حقوق الضعفاء والمساكين ومنتصفا بين الظلم وللمظلوم

القسم الرابع: أن لا يولّوا مال المسجد من كان له مال كثير ولا من كان له أولاد كثير بل يولونه من كان بين بين.

وعن دور المرأة داخل المجتمع المزابي، يشير بالحاج إلى أنها تقوم بأدوار كبيرة، فهناك حلقة تيمسرين التي تقوم بمهمات حلقة العزابة عنه لكن فقط داخل المجتمع المزابي وتجري حلقة تيمسرين تدريبات للمصليات الجديدات داخل كل قصر خلال عشرة أيام عل فترات من السنة، تتعلم خلالها الفتيات طريقة الصلاة وكل ما له علاقة بالدين ومن مهماتها أيضا غسل الموتى من الفساد، وتنظيم حفلات الزفاف في القاعة المخصصة للنساء، وعقد اجتماعات "لا إله إلا الله" ويقول المزابي بن غشتار توفيق ساهمت المرأة بـ60% من بقاء حضارة بني مزاب، لأنها ربت أولادها على الحشمة والطاعة والدين واحترام الكبير...[1]

البساطة حاضرة في كل نقطة من منطقة بني مزاب تحكمها قواعد تنقلها أجيال ولقيت احتراما كبيرا من الجميع، كما لهم مدارس خاصة يتم الفصل فيها بين الذكور والإناث على خلاف كل الجزائريين الآخرين، يدرسون فيها الحكومي نفسه بالإضافة إلى القرآن والدين.

كذلك يحدد سن زواج المزابيين للفتيات بـ 19 سنة والرجال ب21 سنة، والسبب في ذلك حماية الشبان من الانحراف ولكن يبقى هذا الأمر نسبيا وليس عاما.

[1] الدرجيني أبو العباس، مرجع سابق، ص:109.

فن العمارة في وادي مزاب

وتتميز منطقة مزاب بطابعها العصبي الصخري وحرارتها المرتفعة، تخترقها شبكة من الأودية لا تجري فيها المياه إلا مرة في السنة أو ربما مرة واحدة خلال عدة سنوات، ولكن الظروف قد أجبرت الإنسان الذي سكن المنطقة منذ العصور القديمة فحاول أن يجد أساليب تمكنه من البقاء والتكيف مع البيئة، فحصل له ما أراد بإنشاء حضارة عمرانية فريدة، بحيث يعد العمران مرآة المجتمع وتعبيرا عن سلوكه ونمط معيشته.

للعمران في الصحراء جذور تاريخية عميقة مظاهرها الحضارية كانت مألوفة في القصور والمدن التاريخية منذ مئات السنين وازدهرت كمحطات للقوافل التجارية التي كان مسرحها الفسيح بين ضفتي (بحر الصحراء) منذ 10 قرون لذلك إمتلكت ذاكرة حضارية وجذور أصيلة من خلال ما يعرف بالقصور (حضارية أو قروية).

النسق التقليدي للعمران

يتميز العمران في المدن عموما ومنذ القديم على التركيز الكبير على الكتل الرئيسية التي تتفرع إلى مراكز صغيرة تتحكم في وجودها ووظائفها عوامل الطبيعة الخاصة بهذا المنطق الجنوب الشرقي الجزائري المطبوعة بتركيز نقاط الماء وهو العنصر الأساسي في أي استقرار في هذه المناطق مما حتم خصوصية النشاطات التي طالما وقعت وراء هذه التركزات الحضرية في الماضي والمنطق المجالي الذي نظم هذه القصور والمدن وعلاقاتها مع عالم البدو الذي لعب ويلعب دورا هاما في نشاطات هذه المجالات وفي عمرانيتها.[1]

[1] بن بكير يوسف، مرجع سابق، ص:33.

قصور مدينة غرداية

تتألف هذه المدينة من قصور تعود للحضارة الرستمية، أي أكثر من 1000 سنة ويقول أحد الباحثين (بلحاج) كانت المدينة عبارة عن قرى صغيرة لكن بعد نزوح الإباضيين إلى المنطقة والسكن فيها، ومع ازدياد عدد السكان تم تأسيس مدن كثيرة، ما نسميها حاليا القصور ولكنها في واقع الأمر مدن وأول مدينة شيدت هي تاجيت ومؤسسها هو خليفة إبن الغور، تلاها تأسيس مدن أخرى على بعد 120 كلم، آخرها مدينة قرارة وبن رياق.

بنيت هذه القصور بحسب ما فرضته الطبيعة الصخرية للمنطقة وتحوي كل ما تحتاجه المدينة من مساجد ومتاجر وأسواق متابعة ومقابر وعلى باب كل قصر، دليل الإرشاد السياحي يمنع الدخول من دونه كما يمنع وضع النظارات الشمسية والملابس القصيرة والتدخين داخل أروقة القصور، البنايات داخل القصو كلها متشابهة في الإرتفاع والهندسة، نوافذها صغيرة جدا، فحسب الدليل السياحي محمد عبد الفتاح، بنو مزاب لا يستعملون النوافذ الكبيرة ولا الشرفات ففي بذلك تعد على حرمة الجار.

نسق المنازل بشكل يسمح للشمس بالدخول إليها، فهي مغلقة نحو الخارج ومفتوحة نحو الداخل، وهذا من مميزات البيت الإسلامي، يقول معروف والبيت بني ليكون مفتوحا نحو السماء من أجل الضوء والتهوية وفيه بضعة فضاءات منها الفضاء المخصص للنساء وهو ما يسمى بالتيزفري، وهو ضروري بكل بيت من بيوت مزاب[1].

مساحة كل بيت لا تتجاوز 100 متر مربع تتألف من طابقين وسطح، وطابق أرضي وأول ما يمكن أن نميزه في البيت المزابي هو العتبة التي يقول بلحاج أنها عبارة عن درجة صخرية صغيرة توضع عند المدخل، يبلغ ارتفاعها 10 سم تقي الدار دخول الأتربة الرملية ومياه المطر والحشرات

[1] معروف بالحاج ، العمارة في وادي ميزاب .

الضارة وهناك مدخل ملتو لكل بيت كحاجب يمنع المارة من النظر إلى الداخل، يبقي سكان هذه المدينة باب يبقى مفتوحا طوال النهار لكن لا يمكن رؤية داخله نظرا لهذا فهو رواق ينتهي بحائط مقابل شكل مدخل منعرجا.[1]

كما تتميز الولاية بالعديد من المعالم الدينية من مساجد ومصليات تقام فيها شعائر دينية وموسمية زيادة على تفر المساكن الفردية والتقليدية لهذه الولاية، كما يتفرد القصور بتوفيرها على فضاءات واسعة للمبادلات التجارية والتي تعتبر مركزا للحياة الحضارية.

تعرف قصور ولاية غرداية بنظام خاص لتوزيع المياه على الواحات والتي تستفاد منها للاستحمام صيفا، زيادة للتمتع بثمارها.

كما شهدت الفترة الحديثة مرحلة من التحولات الهامة في تاريخ منطقة مزاب ولعل أهم ما يسجل في هذه المرحلة تحمل قبيلة الزناتية في حياة الشبه بدوية إلى حياة الاستقرار، وتحولها التدريجي من مذهب الاعتزال إلى المذهب الإباضي الذي كانت بدايته على يد العالم الإباضي الداعية أبي عبد الله بن بكر إذا كان تآتي في فصل الربيع من وادي أريغ وورقلة إلى منطقة مزاب هو وتلاميذه للاستجمام وطلب الراحة.[2]

وكان من التلاحق الحضاري من سكان منطقة مزاب وبين الوافدين من مختلف مواطن الإباضيين كورقلة ووادي أريق وغيرهما أن أخذت الروابط الفكرية والثقافية تزداد قوة انبثق عنها تركيبة اجتماعية أكثر تنظيما، استوجب معها إنشاء قصور تستجيب للمتطلبات الاجتماعية والثقافية

[1] حمو عيسى النوري، مرجع سابق، ج2، ص:99.
[2] أبو زكريا يحي، المرجع السابق، ص:255.

الجديدة، فكان من ذلك أن تأسست قصور مزاب الخمسة الحالية الواحدة تلو الأخرى كلها على ضفاف وادي مزاب.[1]

أقدم نص يشير إلى قصور بني مصعب فقرة وردت في كتاب طبقات المشائخ (670هـ/1272م) حيث سرد قصة وقعت للشيخ أبي عمار عبد الكافي أحد أعلام الورجلاني الذين عاشوا في النصف الأول من القرن 6هـ/12م، وبعد كتاب الطبقات ترد فقرة هامة في كتاب العبر لابن خلدون عن موضع قصور بني مزاب وعن مؤسسها لكن دون الحديث عن تاريخ التأسيس، نصها: "ومن بنى واسين هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطري في القبلة (الرمال) وعلى ثلاثة مراحل من قصور بني ريغ في الغرب، وهذا الإسم للقوم الذين إختطوها ونزلوها من شعوب بني بادين وسكانها لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الوادي بني توجين ومصاب ويضاف إليهم شعوب زناتة وإن كانت شهرتهم مختصة لمصاب.[2]

1ابن خلدون (عبد الرحمن) ، المرجع السابق ص:123.

[2] الدرجيني، المرجع السابق، ص ص:183،184.

المبحث الثالث: الحياة السياسية

لقد شهدت الجزائر في الفترة العثمانية ما بين 1518م-1830م[1] تواجد العديد من الفئات التي تميزت بنشاطاتها المختلفة، فمن هذه الفئات جماعة بنو مزاب التي برزت في مجتمع مدينة الجزائر بجيوشها ونظامها ووزنها المالي والتجاري ونشاطها وعلاقاتها الوثيقة بالسلطة الحاكمة والتي لم يقتصر نشاطها على هذا الحد حيث ساهمت عسكريا مساهمة كبيرة في الدفاع عن مدينة الجزائر من الأخطار المحدقة بها وتذكر بعض الوثائق والمصادر المخطوطة والمصادر الأجنبية والقريبة بالرغم ما خفي خير دليل على ذلك الدور الهام الذي قامت به هذه الفئة.

لقد سبق التواجد المزابي في مدينة الجزائر التواجد العثماني وذلك لانتظام هجرتهم إلى مدن التل والشمال منذ القرن الرابع عشر ميلادي[2] لكونهم الوكلاء المعترف بهم والوسائط في التجار بينهم وبين الجزائر، وبينهم وبين إفريقيا جنوب الصحراء.[3]

وقد استطاعت بني مزاب أن "تنزع الاحترام والتقدير من الحكام والمحكومين ليس فقط بفضل نزاهة أفرادها، وتفانيهم في العمل وإتقانه ولكن أيضا بفضل مساهمة الجماعة مساهمة كبيرة في الدفاع عن المدينة والتصدي للأخطار التي كانت تستهدفها من الخارج والداخل[4] فمن أهم ما قدمت جماعة بني مزاب عسكريا، كان لهم دور كبير في صد الكثير من الهجمات:

1. اسهامات الميزابين في صد الهجمة الإسبانية على مدينة الجزائر سنة 925هـ-1518م:

اغتنم الإسبان فرصة استشهاد عروج (1470- 1518م) بنواحي تلمسان وانتصارهم فيها فاتفقوا مع أبي حمو الثالث ملك تلمسان على أن يهاجما الجزائر تحت قيادة الإسبانيين الكبيرين

[1] مختار حساني، موسوعة تاريخ المدن والثقافة الجزائرية، ج1، مدن الوسط، دار الحكمة، الجزائر، 2007م: ص:20.
[2] غائشة غطاس، مرجع سابق، ص:30.
[3] وليام شلر، مرجع سابق، ص:111.
[4] بن خروف عمار، الامازيغية في العهد العثماني 1518-1830م، جامعة غرداية ،الجزائر،ص:27.

هيفودي منكاد و كونز البيو مارينو دي ريبيرا الذين شعروا بخطورة الموقف واحتلال الإسبان لكدية الصابون[1] استدعي إلى قصر الشيخ بن موسى وأمين المزابيين في الجزائر بكدية الحاج بن بكير وغيرهما من المجاهدين المزابيين يستشيرهم في الأمر[2] فاتفقوا على أن يقوموا بعملية فدائية، بعد ذلك اجتمعت الفرق الشعبية[3] فاختاروا من بينهم سبعين فدائيا، وقرروا حمل السلاح على النفس والسير به إلى المعسكر الإسباني في حي حسين داي الحالي، فذهبوا بالتهليل والتكبير مخترقين لقوات العدو على طول الطريق، فلما بلغوا بالجنازة المكان المقرر، صلوا عليها إماما للعدو، ولتنفيذ العملية طلب رئيس الفرقة واحدا يقوم بنسق مستودع البارود في المعسكر فخرج إليه شخص يلبس عباءة من نوع الليس وأخفى تحتها (قرابيلة) أي مدفعا يدويا صغيرا فدخل بسرعة ومهارة فتمكن من العثور على مستودع البارود فنسفه فأشعل الفدائيون النار في المعدات الحربية والقوارب التي تصل الأسطول بالبحر.

ولما شاهدت القوات المهاجمة لمدينة الجزائر المتمركزة بكدية الصابون أن المعسكر والقوارب تلتهمها النيران انقسمت إلى قسمين قسم أسرع لإنقاذ المعسكر وقسم يواجه ضربات المجاهدين الذين فتحوا أبواب المدينة وأحاطوا بالعدو من كل جهة فقتلوا منهم كثيرا وأسروا نحو3 ألاف فقتل بعد هذه الهزيمة بالزوبعة نحو أربعة آلاف ولم يكن ينجو من هذه المعركة أحد وقد تم هذا النصر يوم الأحد 24 أوت 925هـ/1518م.

2. فشل حملة شارلوكان على الجزائر في 1541م:

قاد شارل الخامس حملته العسكرية الكبيرة للاستلاء على مدينة الجزائر، وما إن وصلت جيوش الغزاة حتى أحبط الإمبراطور علما أن موقع التلال المشرفة على المدينة جنوبا (chartes qunit) جرت هذه المعركة حين وجد ملك الإسبان الإمبراطور شارلكان مناسب لإقامة برج من

[1] حمو عيسى النوري، مرجع سابق، ج1، ص:203.
[2] بن بكير سعيد، المرجع السابق، ص:79.
[3] وليام شلر، مرجع سابق، ص42.

المدفعية، فأصدرت أوامر بتشييد حصن عليها بمنتهى السرعة[1] وكان الحصن في ناحية سهل مصطفى باشا[2] وفي ليلة واحدة نصبت قلعة مدفعية جبارة محاطة بخنادق، ومزودة بمدافع ثقيلة وقد أطلق عليه الناس "برج بوليلة".

بدأت شررة المدافع هذه في قنبلة المدينة مسببة خسارة مهولة في الأرواح والممتلكات ولم يشهد سقوط المدينة في هذه الظروف ذهب رجال الفتوة المزابيين إلى الباشا حسن آغا حاكم الجزائر بلغوه مطلبا يمكنهم اجتياز على ممارسته المهن التالية تلخص مدينة الجزائر وهي:

- استغلال حمامات المدينة.
- احتكار حرف الجزارة ومراقبة الذبح على الشرع الإسلامي.
- تعيين أمين من أنفسهم تخول إليه وحده صلاحيات الشرطة والتقاضي فيه لديه عن كل دعوة بالترافع أمام هيئة اتحاد حرفهم [3]وحضور المجالس الاستشارية كامل العضوية.[4]

– الأخذ برأي أمير المزابيين بخصوص إرجاع بعض المزابيين إلى واد مزاب في حالة الخوف من انحرافهم أو في حالة معاقبتهم.

– اهتدى أفراد بني مزاب إلى حيلة تكمن في أنهم كانوا متنكرين في لباس النسوة مغطين وجوههم بأقنعة كالتي تضعها النساء المغربيات يكشف أمرهم والشوارب، وتحت الحياك التي ارتدوها مدسوسات مشحونة، وخناجر محدودة النهال مسننة.

وغادروا المدينة من الباب الجديد متوجهين نحو المواقع الرهيبة، وعندما رآهم الإسبان كفوا عن إطلاق النار ضانين أن سكان المدينة قرروا الاستسلام وطلب الأمان حسب ما جرى به العمل لدى

[1] حمو عيسى النوري، مرجع سابق، ص:207.

[2] حمو عيسى النوري، مرجع سابق، ص:213.

[3] بوداود بومدين، تجارة بني مزاب، تجسيد المنهج الإسلامي في إدارة الأعمال التجارية، ط1، رياض العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر 1427هـ/2006م، ص:60.

[4] حمو عيسى النوري، مرجع سابق، ص:214.

المسلمين من مشاهدة أمثال هذه المواكب من النسوة المتضرعات وتمكن المجاهدون المخادعون من اقتحام الحصن دون مشق، وما إن وطأت أقدام أخرى داخلة حتى انقلبوا إلى الهجوم الخاطف، فرفعوا أسلحتهم النارية في الجنود الاسبان وسلوا خناجرهم فيهم بعد معركة رهيبة استبسل فيها المحاربون كل منهم على حسب طاقاته (أسفرت عن مقتل أخر مدافع محتل لهذا المركز)[1] والتي لم تخلوا من استشهاد عدد من المزابيين قدر بنحو30 فدائي.

وبعد إشارة متفق عليها خرجت سرية من الأتراك كانت خلف مدخل باب الجديد في موقف استعداد واتخذت مواقعها في الحصن من فاتحيه المزابيين[2] على أن المؤرخ الليبي علي يحي معمر يقول أن العملية الفدائية انتهت بنسف البرج لاحتلاله من خلال اطلاعه على المصادر الأخرى.[3]

وبهذه العملية قدم بعض أفراد بني مزاب أروع صفحة للفداء وبطولة أبناء الجزائر وبعد الغارة تخلصت مدينة الجزائر ومعالمها الحضارية من هدم وتخريب لا مناص منه، ومن خطر وشر غزو واحتلال أجنبي محقق، أما إمبراطورية شارلكان فقد رمي بتاجه في البحر تأسفا لما لحقه من هزيمة ومنذ ذلك العهد فإن الملوك الاسبان لا يلبسون التيجان كغيرهم من ملوك الدول الأخرى.

في كتابه (10) حتى ولوذكر الحادثة واستهزاء على بني مزاب الذين تنكروا في لباس النسوة إلا أنها تحمل (damas) وفسر بعض المؤرخين فشل حملة شارلكان بعوامل طبيعية تمثلت في زوبعة بحرية أغرقت الأسطول، إلا أن شهادة الجنرال الفرنسي داماس حصره على فشل الحملة من جهة، وتحذير الإدارة الاستعمارية الفرنسية من الاعتذار بمظاهر المجاملة واللطف في المعاملة، وعموما تحذير هؤلاء من الثقة بتصرفات بني مزاب، كما ذكر الواقعة أيضا الكتاب الألماني سيمون بفايض أسير وطبيب

[1] حمو عيسى النوري، مرجع سابق، ص:207.

[2] حمو عيسى النوري، مرجع سابق، ص:216.

[3] علي يحي معمر، الإباضية في موكب، ج4، الإباضية في الجزئر، تصحيح أحمد عمر أوكة، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ص:578.

الداي وشاهد على مشاركة بنو مزاب في صد حملة اسبانية أخرى على مدينة الجزائر في 1775م، كما ذكر الكاتب ألبرت دوفولكس.

علاقة بني ميزاب بالدوالة العثمانية

إن المواقف البطولية للميزابيين في دحر الأوربيين عن شمال افريقيا وتقديم يد المساعدة إلى خير الدين منحتهم مكانة وتقدير عنده، وعند من خلفة على السلطة من العثمانيين في أرض الجزائر وذلك فإنه تمتعوا بمعاملة خاصة اعترافا لهم على ولائهم واخلاصهم للدولة الجزائرية العثمانية هذا الولاء أكده لصالح رايس باشا الجزائر الذي توجه في أكتوبر 960هـ/1552م إلى تقرت التي رفض ملكها دفع الخراج وحصرها ودخلها بعد ثلاثة أيام من قصف مدفعيته، ثم توجه منها إلى ورقلة لنفس السبب إلا أن مالكها فر منها مع جنوده.

الخراج الذي كانت تدفعه ورقلة 30 عبدا، أما ما كانت تدفعه تقرت فهو 15 آمة، يقول الشيخ أحمد توفيق المدني "لما كان الميزابيون يهاجرون إلى بلاد التل باستمرار قصد التجارة والمكسب وقد اعترفت قصورهم منذ انتساب الأتراك بالبلاد بالتبعية للديون، وإنما كانت التبعية اسمية فقط فكان استقلالهم " وتجسيدا لهذه التبعية السياسية كان وادي ميزاب بدفع للسلطة العثمانية سنويا اثني عشر عبد أو اثني عشر آمة"[1]

وفي ولاية حسين باشا سنة 1630م تم الاستيلاء على الحكم في الجزائر ووضع الكراغلة مشروعا يهدف إلى طرد الأتراك واجتمعوا في برج مولاي حسن وعند اكتشاف الأتراك فكروا لإحباط المشروع، بأن يلبسوا عدد من عمال بني ميزاب ملابس نسائية.

لقد منحت لبني ميزاب السلطة العثمانية بالجزائر حق الاشراف على المركز الرئيسي للذبح فهم يسيرونه ويسندون عملية الذبح لمن يحسنها منهم أو من غيرهم تفاديا لاستخفاف بعض

[1] بن بكير سعيد، مرجع سابق، ص ص.57،56

القصابين بهذه العملية، كما أحدثت لهم وظيفة أمين الميزابيين يحضر المجالس استشارية كعضو دائم وجدد بو ميزا بناءهم للدولة العثمانية عندما قام كل من محمد كبير باي معسكر وصالح باي بقسنطينة بغزو الجنوب وقد وصل محمد الكبير مدينة الأغواط سنة 1785م ودخل بقوات هائلة يوم 28 ربيع الثاني 11 فيفري، فانقاد له جميع القبائل التي بضواحيه ورضوا أن يؤدوا الضرائب سنويا.

الخاتمة

بعد قراءتنا لمضامين البحث ووفق الخطة التي سطرناها لمعالجة الموضوع الذي نحن بصدده توصلنا إلى تسجيل أهم النتائج التالية:

أولا :

- إن المجتمع الجزائري أخذ تركيبا هرميا بحيث نجد قمة الهرم الطائفة التركية ثم تليها جماعة الكراغلة ثم طبقة الحضر بما فيهم الأندلس والأشراف وبعدها الجالية اليهودية والمسيحية وفي أسفل الهرم نجد جماعة البرانية، ويأتي الزنوج في آخر السلم الاجتماعي، إن هذا التنظيم الهيكلي خلال العهد العثماني كان له دورا كبيرا في المحافظة على النظام العام للمجتمع الجزائري حيث خلق جو التعايش بين مختلف شرائحه رغم اختلافها جنسيا، عرقيا، دينيا.

ثانيا:

- تنوع الفئات السكانية في المجتمع الجزائري يعود تاريخه إلى العهد العثماني وذلك نتيجة المصاهرة بين العنصر المحلي والوافدين إليها من المشرق أوربا، كنا نجد أن الجزائر حافظت على حرية الديانات لكل طائفة إذ تركتها تمارس طقوسها وشعائرها بكل حرية مطلقة، دون التدخل في ذلك وهذا ما حدث مع اليهود وجماعة بني ميزاب، وكذلك تميز المجتمع الجزائري بكل فئاته بالانسجام والترابط والخضوع للطاعة والولاء للحكام.

ثالثا:

- إن الهجرة الاباضين للصحراء وبالأخص إلى وادي ميزاب بدأ تحديدا بعد سقوط الدولة الرستمية إثر هزيمتهم أمام الفاطميين وسبب التخريب المتوالي لمدينة سدراتة، ولهذا أصبح وادي ميزاب ملجأ لكل الأسر الاباضية الفارة من اضطهاد الفاطميين ثم المرابطين

رابعا:

- شهد بني مزاب في الفترة الحديثة تحولات هامة في تاريخ منطقة مزاب ولعل أهم ما يسجل فب هذه المرحلة هو تحول بعض القبائل من حياة شبه البدوية إلى حياة الاستقرار، وتحولها التدريجي من مذهب الاعتزال إلى المذهب الاباضي.

خامسا:

- كما أنه من ثمار التلاحق الحضاري من سكان منطقة مزاب وبين الوافدين من مختلف مناطق الاباضية كورجلان ووادي أريغ وغيرها، إذ أخذت الروابط الفكرة والثقافية تزداد قوة انبثقت عنها تركيبة اجتماعية أكثر تنظيما استوجب معها انشاء قصور تستجيب متطلبات السكان الاجتماعية والاقتصادية والثقافية جديدة، فكان من ذلك أن تأسست قصور مزان الخمسة الواحدة تلو الأخرى، كلها على ضفاف واد مزاب بحيث بنيت هذه القصور بحسب ما فرضته الطبيعة الصخرية للمنطقة، وهي تحوي على كل ما تحتاجه المدينة من مساجد ومتاجر وأسواق.

سادسا:

- أن الجزائر حظيت بكثير من الثروات والخيرات وهذا ما جعل السلطة العثمانية تهتم بالجانب السياسي و عسكري، بالإضافة إلى باقي المجالات معتمدين في ذلك على الفلاحة والري والتي تعد من أبرز السمات التي امتاز بها بني مزاب على الرغم من إمكانياتهم المحدودة جدا لتوسيع البقاع الخضراء والتغلب على قسوة الطبيعة وهذا لسلوكهم المستقيم وصبرهم على الظروف القاسية بالتي تتميز بها الصحراء.

سابعا:

- امتازت الحياة الاجتماعية في واد ميزاب بالتمايز من حيث العمران والبداوة، بحيث حافظت القبائل البدوية على خصائصها المتوارثة والمتمثلة في التعاون وتبادل المنافع وتميزوا أيضا

بالجود. والشجاعة كما أنهم تميزوا أيضا ببعض السلوكات السلبية التي تمثلت في الحمية المبالغ فيها والتي تورث الفوضى والثأر والرغبة في التخلص من القيود التي فرضتها الأنظمة مثل الضرائب.

ثامنا:

- كما تميز المجتمع المزابي أيضا بالتماسك الذي يظهر من خلال محافظتهم على اللباس التقليدي والذي واضب الميزابيون على ارتدائهم إلى يومنا هذا سواءا في المناسبات وغيرها.

تاسعا:

- كان لبني مزاب مؤسسة تنظيمية تنظم لهم كل القضايا الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وحتى الشعرية والتي تتمثل في حلقة العزابة بحيث تشرف على المساجد والتعليم القرآني والديني تنظيم الاحتفالات الدينية والاجتماعية كالأفراح والمآتم، كما كانوا يعتمدون أيضا على نظام العشيرة.

عاشرا:

- وكانت الثقافة نشطة أكثر في الحواضر وخاصة في المدارس والجوامع الاباضية التي اهتمت بتعزيز مكانة المذهب الإباضي والحفاظ على التراث الفكري للدولة الرستمية وتراث حلقة العزابة.

الحادي عشر:

- كما نستنتج أن لعمران مزاب جدور تاريخية عميقة وهذا ما مكن المنطقة من امتلاك ذاكرة حضارية ومعالم أصيلة من خلال قصورها التي كانت تمثل حضارتهم بحيث تميز عمرانهم بالهندسة الأصيلة رغم أنهم لم يكنوا من أصحاب المعدات الضخمة أو الشعوب المتقدمة في ذلك العصر.

إثنى عشر:

كما ساهم المجتمع المزابي في العهد العثماني على مواجهة الخطر الأوربي، مما جعله على علاقة وثيقة بالسلطة الحاكمة طيلة التواجد العثماني في الجزائر بحيث كانت تستشار بواسطة أمينها. في كافة المجالات التي تنظم علاقتهم بالسلطة وبالفئات الأخرى، فلهذا هي لا تقل أهمية من بين الفئات الاجتماعية في الجزائر

قائمة المصادر و المراجع

أولا المصادر باللغة العربية :

1. **ابن الأثير** (عز الدين أبو الحسن علي ابن أبي الكرم المتوفي 630 هـ)، الكامل في التاريخ دار الكتاب العربي، ج6، ، بيروت-لبنان، ط 2، 1986م.

2.**أبوراس الناصري** ، عجائب الاسفار ولطائف الاخبار ، ج 1، تعريب وتقديم بوركبة محمد الجزائر، 2012م

3.**حضرة السعادة أحمد بك** ، المنهل العربي في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبةالفرجاني، طرابلس الغرب ليبيا.

4.**حمو عيسى النوري**، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، المجلد الثاني، الحلقة الأولى

5. **ابن خلدون**، (ابن عبد الرحمان بن محمد المتوفي 808 هـ). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المجلد السابع، دارالكتب العلمية ، لبنان ، 2010م

6.**خوجة حمدان بن عثمان**، المرآة، تعريب وتقديم محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005م

7. **الدرجيني** (أبي العباس أحمد بن سعيد المتوفي 670هـ) ، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: ابراهيم طلاي،**ج1**، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، (1394 هـ – 1974 م).

8.**سبنسر وليام**، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد االقادر زبادية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م

9.**سيمون بايفر**، الجزائر عشية الاحتلال ، تعريب وتقديم أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م

10. **شالر وليام**، مذكرة وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر (1816م-1824م)، تعريب وتعليق وتقديم اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1988م

11. **الشماخي** (أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي المتوفي 928 هـ)، كتاب السير ، دار الابحاث للترجمة و النشر، وزارة الثقافة، الجزائر، ط 1، 2011 م.

12. **ابن الصغير** (المالكي)، أخبار الأئمة الرستمين، تح: محمد ناصر و إبراهيم بحار، الجزائر، د ط ، 1985م.

13. **ابن عذاري** (المراكشي) ، البيان المعرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تح : ج س كولان ، ا ليفي يروفنسال ، **ج1**، دار الثقافة بيروت لبنان، ط 3 ، 1983 م.

14. **عميراوي أحميدة**، الجزائر في أدبية الرحلة والأسرى خلال العهد العثماني ، مذكرة تيدينا (نموذجا) دار الهدى للطباعة والنشر

15. **القلصادي** (بن حسن علي)، رحلة القلصادي، تقديم وتعريب محمد أبو الأجثان، الشركة التونسية للتوزيع

16. **كاربيخال مرمول**، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، مطبعة الرباط بالمملكة المغربية، 1989م

17. **الوزان حسن** ، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ، محمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية، بيروت-لبنان، 1983م

18. **أبي زكريا** (يحي بن أبي بكر المتوفي 481 هـ)، كتاب سير الأئمة و أخبارهم المعرف بتاريخ أبي زكريا، تح و تع :اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائرية، (1399 هـ– 1979 م).

ثانيا: المصادر باللغة الفرنسية

.19 -Poul soleillet l'afrique occidental algerie,mzab,tildikelt,1877.

ثالثا :المراجع:

20. **الباروني سليمان،** مختصر الاباضية كوكب المعرفة، ب ط ، ب ت ، ب ن .

21. **بحاز ابراهيم،** الدولة الرستمية، دراسة الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والحياة الفكرية، جمعية التراث، الطبعة الثانية، الجزائر، 1993م

22. **بلحميسي مولاي،** الجزائر من خلال رحلات المغاربةفي العهد العثماني،ش.و.ن الجزائر،1970.

23. **بن بكير يوسف الحاج سعيد،** تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، الجزائر، 2007م

24. **بن عميرة محمد،** دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي،المؤسسةالوطنية للكتاب، 1984.

25. **بن عيسى عامر،** مذكرات ووثائق عن مزاب،مط،النهضة بتونس، 1951

26. **بوحوش عمار،** التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الاسلامي ن الطبعة الثانية، بيروت، 2005م

27. **بوعبدلي مهدي،** تاريخ المدن من إعداد عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة، الطبعة الأولى الجزائر، 2013م

28. **بيشي محمد عبد الحكيم،** تطورات الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، عالم المعرفة، الجزائرن 2015م

29. **الجيلالي عبد الرحمن** بن محمد ،تاريخ الجزائر العام، من ما قبل التاريخ حتى (547هـ/1153م) ،ج 1، دار الأمة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2014م

30. **الحريري محمد عيسى**، تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني (610 / 1213) / (769 / 1465)، دار القلم للنشر و التوزيع، الكويت، ط2، (1408هـ – 1987م).

31. **حسين ابراهيم حسن**، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل الجزء الأول، بيروت

32. **حليمي عبد القادر**، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، دار الفكر الاسلامي الطبعة الأولى، الجزائر، 1972م

33. **دبوز علي محمد** ، نهظة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، ج 1،عالم المعرفة، ، الجزائر، ط 1، 2013م

34. **دبوز علي محمد**، تاريخ المغرب العربي الكبير، ج 1، مؤسسة توالت الثقافية، الجزائر ، 2010م.

35. **سعد ابن أبو قاسم**، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 1، دار الغرب الاسلامي، ، بيروت، ط1، 1998م

36. **سعيدوني ناصر الدين**، النظام المالي للجزائر اواخر العهد العثماني(1792م-1830م) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م

37. **سعيدوني نصر الدين** ، والشيخ البوعبدلي ، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، ج1 ، الجزائر، 1984م

38. **سليمان أحمد** ، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة للنشر ، ب ت .

39. **السماوي صالح بن عمر**، العزابة ودورهم في المجتمع الاباضي بميزاب،ج1،ط1،مط العربية ، غرداية 2005 م.

40. **طلاي ابراهيم محمد**،مزاب بلاد كفاح،دراسة اجتماعية تاريخية،مط،دار البعث قسنطينة،الجزائر، 1970.

41. **عباد صالح**، الجزائر خلال الحكم التركي ، دار هومة للطباعة ، الجزائر، 2005م

42. **عمورة عمار**، الجزائر بوابة التاريخ ماقبل التاريخ الى سنة 1962م، ج 1 ، دار المعرفة 2006م

43. **العوامر ابراهيم**، محمد السياسين الصروف في تاريخ صحراء وسوف، ط2، ب ت .

44. **فليجة احمد نجم الدين**، افريقيا دراسة عامة وإقليمية، مطبعة الانتصار الاسكندرية

45. **القرادي الشيخ**،رسالة بعض في اعراف و عادات وادي مزاب،تح بن بهون، نشر جمعية النهضة العطف،ط1،2009.

46. **كامب غابريال**، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل افريقيا الشرق 2014

47. **كمال أبو مصطفى**، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي" من خلال نوازل الونشريسي "، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997 م.

48. **لطفي نجلاء**، الفرق والمذاهب والجماعات الاسلامية القديمة، كلية الدراسات الاسلامية جامعة الأزهر

49. **لقبال موسى**، المغرب الاسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر 1981م

50. **المدني أحمد توفيق**، جغرافية القطر الجزائرية، الناشئة الاسلامية .

51. **المدني أحمد توفيق**، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، د ط،القاهرة، 2001م.

52. **معمر علي يحي**، الاباضية في موكب التاريخ، تص احمد عمر اوكة، مط العربية، غرداية، الجزائر

53. **معمر علي يحيى**، الاباضية موكب التاريخ، الحلقة الأولى من القسم الأول

54. **المعموري محمد عبد الله**، تاريخ المغرب والأندلس، دارالصادق الثقافية عمان

55. **موهوبي عبد القادر السائحي الادريسي الحسني**، ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ ومزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة، دار البصائر الجزائر

56. **الميلي محمد مبارك**، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 1، تقديم وتصحيح محمد الميلي، دار الغرب الاسلامي بيروت–لبنان، ب ت .

57. **نور الدين عبد القادر**، صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، الجزائر، مطبعة البحث قسنطينة ن 1965م.

رابعا : المراجع باللغة الفرنسية

58.Boyer pierre. problèmes Kouloughlle dans la régence d Alger. in R.O.M.M.N

/ الرسائل الجامعية:

59.**بن خروف عمار**، الأمازيع في العهد العثماني من 1830/1518 ، رسالة ماجستير ، جامعة غرداية.

60. **بوراس يحيى**، العمارة الدفاعية وادي مزاب (نموذجا قصر بني يزقن) رسالة ماجستير، قسم الآثار، جامعة الجزائر، (2002/2001م)

61. **راشدي جراية**، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث، رسالة ماجستير جامعة منتوري قسنطينة، (2008/2007م)

62. **شويتام أرزقي**، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2005-2006م

63. **العيسى حنان**، الشيح إسحاق إبراهيم أطفيش القضايا الجزائرية، 1344 إلى 1350هـ 1925 إلى 1931م، رسالة ماجيستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي 2013-2014

64. **غطاس عائشة**، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830م) ، مقارنة اجتماعية واقتصادية، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001م

65. **محرز أمين**، الجزائر في عهد الأغوات، رسالة ماجستير جامعة الجزائر، 2007-2008م

66. **مقري سامية**، التعليم عند الاباضية في بلاج المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة، رسالة ماجيستر بالتاريخ الوسيط، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006

67. **مقصود محمد**، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م) رسالة ماجستير جامعة وهران، 2014م

68. **ناصر ربيعة**، أبو اليقضان، ودوره الاصلاحي في الحركة الاصلاحية في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيذر بسكرة، 2013م

ل المجلات والمقالات:

69. **هلايلي الحنيفي**، (الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء السجلات والمحاكم الشرعية) .

70. **مؤيد محمود حمد المشهداني و سلوان رشيد رمضان**:(أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518 – 1830)، ع 16، المجلد 5 ، **مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية ، مجلة علمية فكرية جامعة تكرت**، نيسان سنة (1434 هـ – 2013 م) .

71. **الطيب سعد** ، (الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الاسلامية وكتب الرحلات المغرب)، ع 15 ، **مجلة الواحات، للبحوث ودراسات** ، قسم التاريخ المركز الجامعي بغرداية، العدد 15، 2011م

72. **عزب خالد** ، (السياسة الشرعية وفق العمارة، الحدود الفاصلةوالمشتركة) ، ع 14 مجلة وحدة الدراسات المستقبلية، ، تأليف عزب خالد، العدد 14، الاسكندرية، 2013م .

73. **عمارة عيسى** (اتفاقيات المجالس العامة، وادي مزاب، (1405هـ-1925م)) من أرشيف مزاب القديم بعمارة عيسى، دار الشباب، باتنة، 1990م .

74. ديوان حمايةوادي مزاب وترقيته، إطلالة على بعض القصور المندثرة لولاية غرداية مجلة جامعة أم القرى للهندسة والعمارة، المجلد 06، العدد 06، رجب (1437هـ-ماي 2016م)

75. دليل المواقع والمعالم التاريخية وادي مزاب

76. **بوشلاغم الزوبير**، الثورة وقضايا أخرى بناحية غرداية، مجلة أول نوفمبر، العدد 127، أفريل 1977م.

المعاجم:

77. **الزناتي أنور محمود**، معجم المصطلحات، التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة عين الشمس.

78. الموسوعة العربية العالمية، الجزء الرابع عشر، الطبعة الثانية.

79. **نوايسة عبد الله**، المعجم الشامل للقبائل العربية والأمازيغية، الجزء 02 و03، دار المعرفة للطباعة، الأردن، عمان

الملاحق

الملحق رقم01 يمثل مخطط لرتب موظفي حلقة العزاية

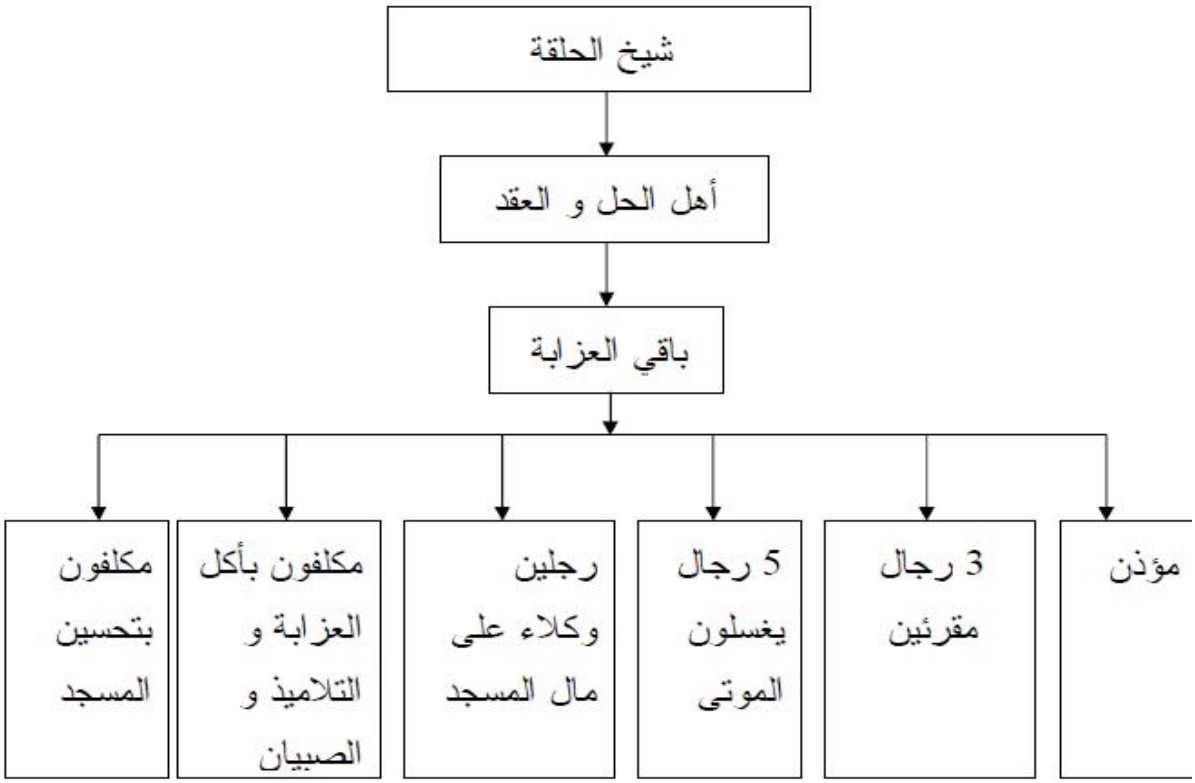

مخطط يوضح رتب حلقة العزابة[1]

[1]- مقري سامية، المرجع السابق، ص.71

الملحق رقم 02 يمثل مخطط لتصنيف طلبة القرآن والأدب والعاجزين حسب الدرجيني

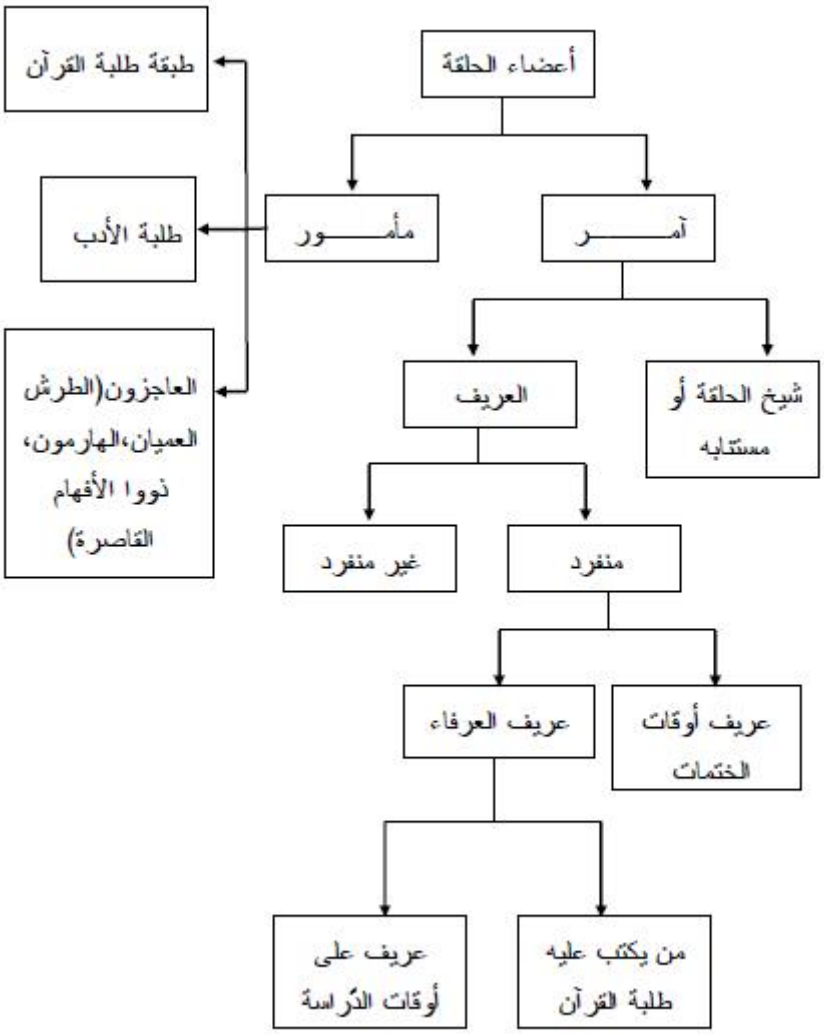

تصنيف طلبة القرآن وطلبة الأدب والعاجزين حسب الدرجيني[2]

[2]- مقري سامية، المرجع السابق، ص.80

ملحق رقم 03 خريطة تمثل موقع غرداية بالنسبة لتراب الوطني.

موقع غرداية بالنسبة للتراب الوطني[3]

[3] عنون نور الدين بن الطاهر ، دراسة تحليلية لمظهر العمارة الإسلامية الامازيغية وسبل الحفاظ عليها، نموذج مدن وادي مزاب، مجلة جامعة أم القرى للهندسة والعمارة، مج،06، العدد06، رجب 1437هـ/ ماي 2016م، ص.51

ملحق رقم 04 خريطة تمثل القصور المندثرة لوادي مزاب

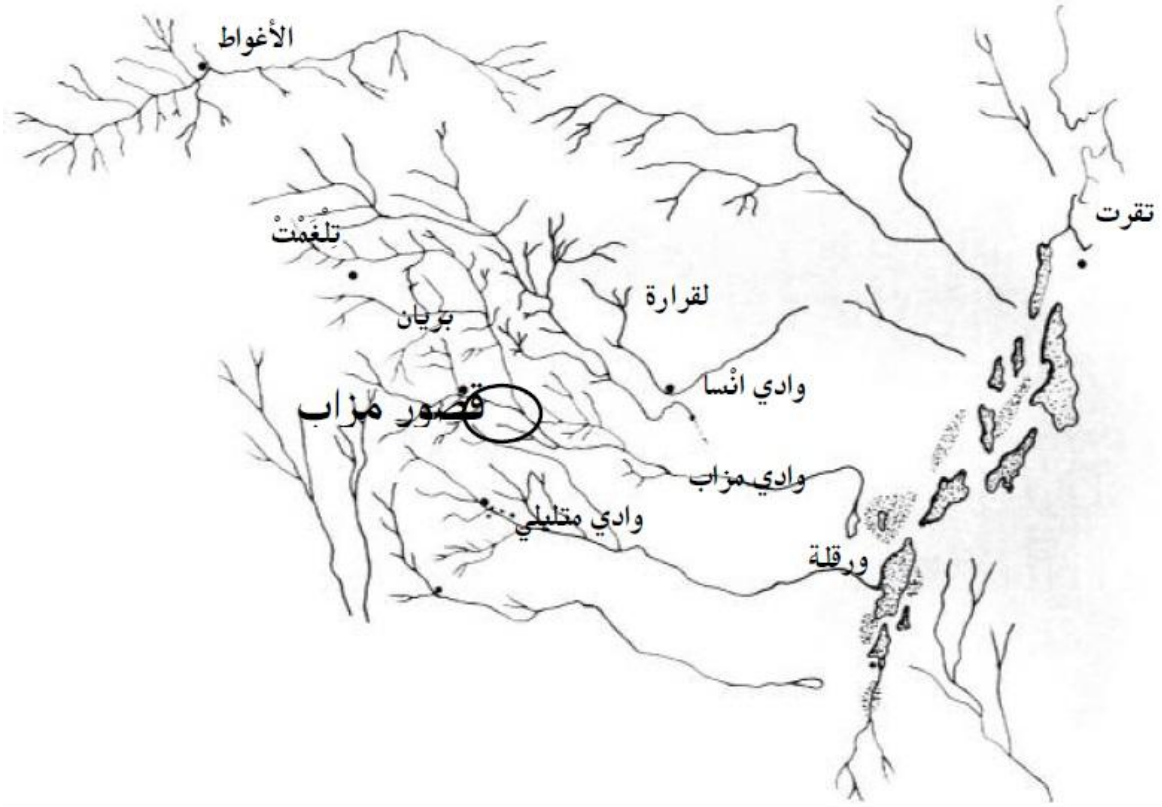

القصور المندثرة لوادي مزاب[4]

[4] عنون نور الدين بن طاهر ، مرجع سابق، ص.68

ملحق رقم 05 خريطة تمثل مدن مزاب الواقعة على ضفاف الوادي.

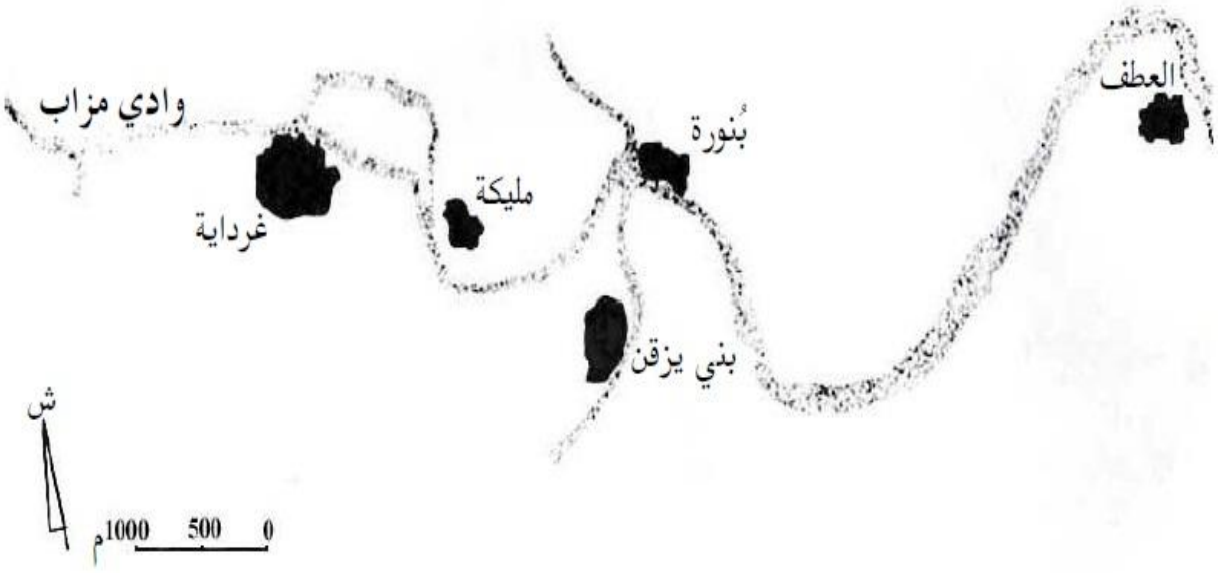

خريطة لقصور مزاب الخمسة الواقعة على ضفاف وادي مزاب [5]

[5] يحي بوراس، العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب، منوذج قصر بني يزقن(من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م)، دراسة وصفية تحليلة ومقارنة، رسالة ماجستير قسم علم الآثار جامعة الجزائر، 2001-2002م، ص.154

ملحق رقم06 صورة تمثل منظر شمالي لمدينة غرداية

منظر شمالي لمدينة غردايةّ[6]

[6] موهوبي عبد القادر السائحي الادريسي الحسني، مرجع سابق، ص.222

ملحق رقم09 صورتان تمثلين قصر مليكة بنورة

منظر شمالي لمدينة غرداية[7]

[7] موهوبي عبد القادر السائحي الادريسي الحسني، مرجع سابق، ص.222

ملحق رقم 10 مدخل بجانب برج بقصر غرداية

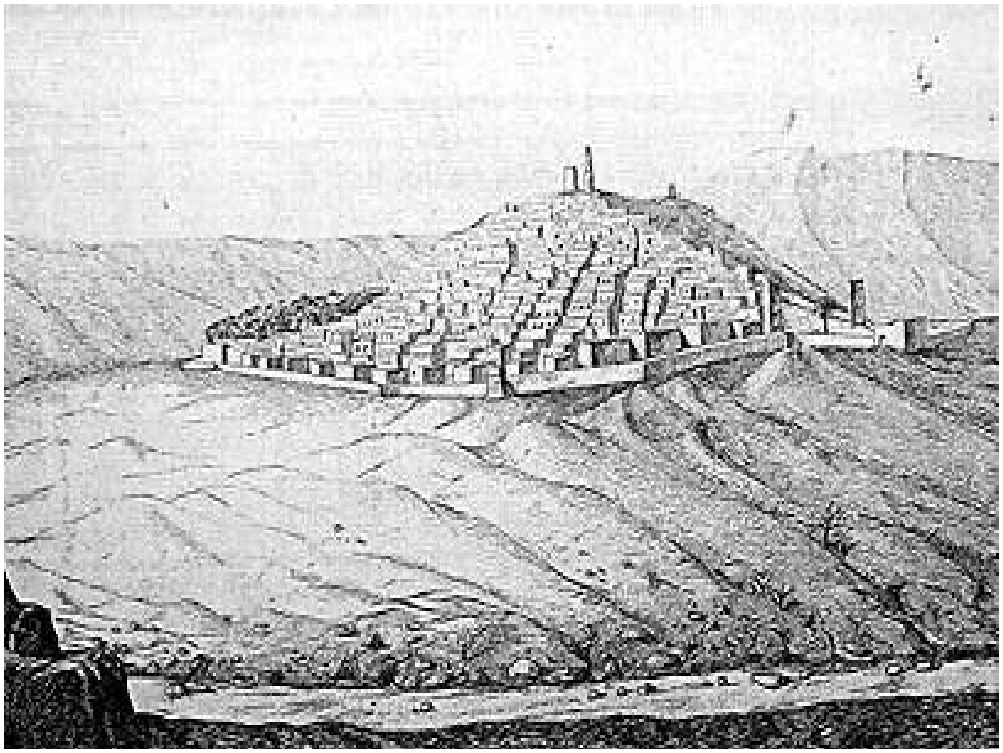

منظر عام لمدينة بني يزقن[8]

[8] بوراس يحي، مرجع سابق، ص.191

ملحق رقم 11 أطلال من "قصر لحمر" المندثر ببلدة القرارة

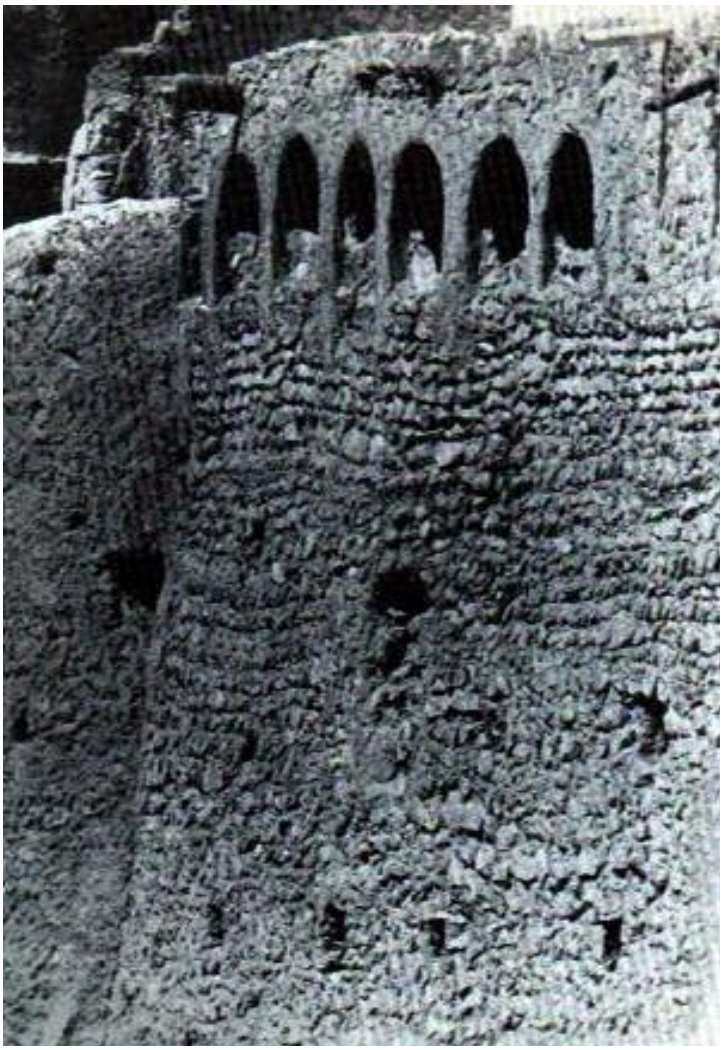

جزء من مساكن قصر العطف[9]

[9] بوراس يحي، نفس المرجع، ص.191

بناء مساكن على قاعدة صخرية في قصر بنورة

جزء من صور قصر مليكة[10]

[10] دليل المواقع والمعالم التاريخية وادي مزاب، ص.18.

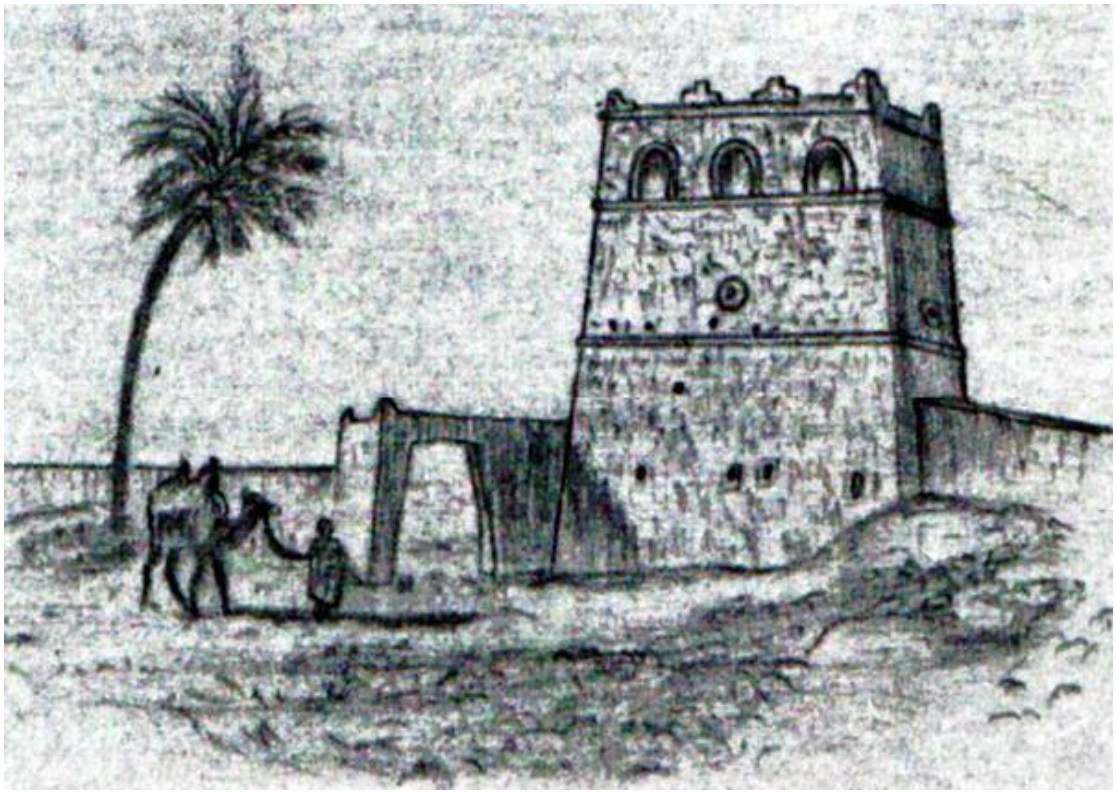

مدخل بجانب برج بقصر غرداية[11]

[11] بوراس يحيى، مرجع سابق، ص.198

أطلال من "قصر لحمر" المندثر ببلدة القرارة

أطلال من قصر لمبرتخ ببلدة القرارة[12]

[12] ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، اطلالة على بعض القصور المندثر بولاية غرداية، ص.18

فهرس الموضوعات

-أدرار 23.

-البرتغال 16.

-باب الواد 16، 43.

- باتنة 45.

- بجاية 06.

- برقة 21.

- بريان 29، 32، 35، 41،45.

-بسكرة 11، 12.

- بلاد القبائل 12، 14.

- بليدة 07، 45.

- بنورة 23، 31، 39، 40، 45.

- بني يزقن 35، 40، 41، 42، 45.

- تلمسان 07، 11، 15، 61.

- تمنطيط 23، 43.

- توات 23، 43، 44، 53.

- توقرت 13، 36.

-تونس 14، 15، 22، 45.

- تيهرت 25، 27، 28، 29، 32.

- جبل العمور 22.

- جبل نفوسة 22، 25.

- جربة 22، 24، 34، 53.

- الجزائر 06، 09، 10، 11، 12، 14، 15، 19، 25، 27، 28، 34، 38، 43، 45، 46، 49، 60، 62، 63، 64.

- جلفة 19، 45.

- جيجل 12.

- خنشلة 45.

- زيبان 13.

- الساورة 44.

- الاسكندرية 45.

- الإسبان 10، 11، 15، 16، 61، 62، 63.

-سجلماسة 21.

-سدراتة 23، 28، 29، 30، 31، 32، 38، 43.

- سطيف 45.

-سودان 17، 21، 22، 43، 44.

- سوق اهراس 45.

- طليطلة 10.

-عطف 30، 32، 34، 39، 40، 41، 45.

-عنابة 07.

-غرداية 22، 23، 32، 33، 34، 35، 36، 39، 40، 43،45، 51، 54، 57.

-غرناطة 10.

- إغريق 06، 16.
- غليزان 45.
- الأغواط 12،13، 14، 19، 65.
- فاس 14، 15، 53.
- فرنسا 10.
- فزان 44.
- قالمة 45.
- قرارة 32، 35، 36، 45.
- قرطبة 10.
- قسنطينة 06، 11، 35، 45، 65.
- ليبيا 23، 45.
- متليلي 41، 48، 53، 54.
- المدية 07، 41، 45.
- مرسية 10.
- مستغانم 07.
- معسكر 07.
- مليكة 30، 34، 39، 41، 42، 45، 48.
- منيعة 41.
- الإنجليز 16.
- الأندلس 05،08، 9،10، 10، 11، 15.

- هلندا 10.

- وادي اريغ 23، 28ن 38، 59.

- وادي مزلب 13، 24، 32، 33، 34، 35، 38، 39، 40، 43، 44، 53، 56.

- ورجلان 23، 28، 29، 30، 31، 36، 56.

- وسوف 47.

- اليمن 22.

الملحق		الصفحة
01	- يمثل مخطط لرتب موظفي حلقة العزاية	89
02	– يمثل مخطط لتصنيف طلبة القرآن والأدب والعاجزين حسب الدرجيني	90
03	- خريطة تمثل موقع غرداية بالنسبة لتراب الوطني	91
04	– خريطة تمثل القصور المندثرة لوادي مزاب	92
05	خريطة تمثل مدن مزاب الواقعة على ضفاف الوادي	93
06	صورة تمثل منظر شمالي لمدينة غرداية	94
07	– صورة تمثل منظر عام لمدينة بني يزقن	95
08	- أطلال من "قصر لحمر" المندثر ببلدة القرارة	96
09	– جزء من من صورة قصر مليكة بنورة – مليكة	97
10	- مدخل بجانب برج قصر غرداية	98
09	– أطلال من "قصر لحمر" المندثر ببلدة القرارة	99

مقدمة ..... أ

مدخل : التركيبة السكانية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني 7

أولا: الأتراك 7

ثانيا : الكراغلة 8

ثالثا: فئة الحضر البلدية.....10

رابعا: جماعة البرانية 13

خامسا: الدخلاء 16

سادسا : جماعة الزنوج 19

الفصل الأول: التشكيل التاريخي لمنطقة وادي مزاب. 22

المبحث الأول: البيئة الطبيعية ميزاب لمنطقة وادي 22

الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة وادي مزاب

.....

Erreur ! Signet non défini.

مناخ منطقة مزاب.....23

أصل تسمية بني مزاب 23

اللغة المزابية: 28

المبحث الثاني: تحول بني مزاب من الاعتزال إلى المذهب الإباضي.....29

المذهب الإباضي

.....

Erreur ! Signet non défini.

لمحات من تاريخ الدولة الرستمية 31

المبحث الثالث: نشأة وتطور مدن وادي مزاب 36

غرداية: (تغراديت)

.....

37Erreur ! Signet non défini.

نشأة (تجننت) العطف:

.....

38Erreur ! Signet non défini.

نشأة (آت بنوز) بونورة:.....38

نشأة (أمليشت) مليكة: 38

نشأة يزقن (أث إسجن).....39

نشأة بريان 39

نشأة مدينة القرارة: 40

الفصل الثاني: دور الميزابيين في الجزائر ابان التواجد العثماني 43

المبحث الأول: الحياة الاقتصادية والاجتماعية 43

الحياة الاقتصادية 43

الحياة الاجتماعية 52

المبحث الثاني: الثقافة والعمران.....60

الحياة الثقافية.....60

فن العمارة في وادي مزاب.....64

المبحث الثالث: الحياة السياسية.....68

اسهامات الميزابين في صد الهجمة الإسبانية على مدينة الجزائر 68

فشل حملة شارلوكان على الجزائر في 1541م: 69

علاقة بني ميزاب بالدولة العثمانية 72

خاتمة 75

قائمة المصادر والمراجع 80

الملاحق

.....

89Erreur ! Signet non défini.

الفهارس العامة 100

فهرس الاماكن 101

فهرس الملاحق 106